

*Franklin D. Roosevelt*

الرئيس فرنسكان ديهلانو روزفلت

امتخب اولاً للرئاسة في نوفمبر ١٩٣٢ وتولاها في مارس ١٩٣٣ ثم جدد  
انتخابه في نوفمبر ١٩٣٦ ثم ثالثة في ٥ نوفمبر ١٩٤٠ واحتفل بتنصيبه الثالث في ٢٠  
يناير ١٩٤١ ويوجد القاريء ملخصاً وافياً للخطبة التي اذاعها من البيت الابيض في  
٢٩ ديسمبر ١٩٤٠ في صفحة ١٧٣ من هذا الجزء بعنوان «ترسانة الديمقراطية»



# المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والتسعين

٥ محرم سنة ١٣٦٠

١ فبراير سنة ١٩٤١

## هل هناك عناصر

وراء عنصر الاورانيوم

ما ينطلق منها معادلاً لطاقة خمسة عشر ألف  
صفحة من البنزين

وهذا البنزين كاف لدفع سيارة متوسطة مليوناً

ومائتي ألف من الأميال .

ولو كانت طاقة الاورانيوم

متاحة لنا في صنع سيارة

جديدة لأغتنا كتلة منه

بقدر بذرة البرتقال عن خزان

البنزين وحرق ما يعادل صفائح

منه ، اذ تكفي طاقة البذرة

لدفع السيارة مائة ألف ميل

قبل ان تتلاشى . وقلما تستعمل السيارة

الجديدة لقطع أكثر من مائة ألف ميل على

المتوسط . وهذه الطاقة المخزونة في الذرة

في مستهل سنة ١٩٣٩ تلقت الدوائر

العلمية انباء بأن فريقاً من العلماء كشف

الطريق الى إطلاق الطاقة من الذرة . وكان

علماء الطبيعة يحمين قبل

ذلك على ان مقادير الطاقة

المخزونة في الذرة عظيمة

وهم يميلون الآن الى الأخذ

بأن الطاقة المنطلقة من ذرات

الأورانيوم بانشطاراتها تعدل

خمس ملايين من المرات

على الأقل الطاقة المنطلقة

من الفحم وزناً بوزن . فاذا أخذت قطعة

من الاورانيوم بحجم نصف القرش وأطلقت

ما فيها من طاقة ذرية بطريقة الانشطار كان

التي الاستاذ فندرسول استاذ  
الطبيعة في جامعة القاهرة الاميركية  
محاضرة نفيسة باللغة الانكليزية  
على طائفة من اساتذتها في هذا  
الموضوع وأتاح لنا استخلاص  
هذا المقال منها . فله الشكر الجزيل



لازمة لحفظ الجسيمات الصغيرة التي تتألف منها ذرات الاورانيوم مترابطة متماسكة ولا يخفى ان ذرة الاورانيوم تحتوي على ٢٣٨ ذرة من الكتلة و ١٤٦ كهرباً محشوقة معاً في النواة . وحول النواة أفلاك اهليلجية تتحرك فيها كهيربات . في أقرب هذه الأفلاك الى النواة يتحرك كهيربان . ثم يليه فلكان في كل منهما ثمانية كهيربات ثم فلكان في كل منهما ثمانية عشر كهيرباً ثم فلك فيه اثنان وثلاثون كهيرباً ثم فلك فيه سبعة كهيربات ( ٦٤٣٢، ١٨٤١٨، ٨٤٢ ) ترتب العناصر في الجدول الدوري وفقاً لوزانها الذرية أو وفقاً لأرقامها الذرية . وفي الحالين يستخلص العلماء من مواقع العناصر في الجدول حقائق كثيرة عن خواصها وطبائنها، وصلة طوائفها بعضها ببعض . أما مندليف الروسي فقد رتب العناصر وفقاً لأوزانها الذرية في سنة ١٨٦٩ وكان ترتيبه لها سابقاً لكشف النظائر والأرقام الذرية . ومنذ ما رتب موزلي<sup>(١)</sup> العناصر ترتيباً دورياً وفقاً لأرقامها الذرية ، أصبح العلماء يجدون ترتيباً اجدى وأنفع في دراسة العناصر من ناحيتها الكيميائية

وأخصر تعريف للرقم الذري هو « عدد كهيربات الذرة التي ليست في النواة » . فكمياء العنصر مرتبطة أوثق ارتباط بالرقم الذري أي بعدد الكهيربات التي خارج النواة . ويقاس الرقم الذري بمقياس الشحنة الكهربائية الموجبة على النواة . وهو أصح وأدق . لأن الكهيربات قد تصاب بما يعدها عن أفلاكها فتكسب الذرة كهيربات من غيرها أو تخسر كهيربات فتكسبها جاراتها . فعدد الكهيربات ليس عدداً ثابتاً إلا في ذرات العناصر الثابتة المستقرة . ولكن شحنة النواة لا تتغير أو قلما تتغير . ولما كانت كهربية الذرة متعادلة فشحنة النواة يجب أن تكون موجبة لتعديل كهربية الكهيربات التي خارج النواة وهي كهربية سالبة . ومقدار الشحنة على النواة يعادل الفرق بين عدد البروتونات والكهيربات التي في النواة . فإذا كانت النواة مؤلفة من أربعة بروتونات وكهيربين فشحنة النواة الموجبة ٢ فيجب أن يكون حول النواة كهيربان . وهذا هو الرقم الذري وعلى كل حال أثبت البحث الطبيعي الحديث أننا كثيراً ما نجد ذرات متساوية في وزنها الذري مختلفة في رقمها الذري . وأخرى متساوية في رقمها الذري مختلفة في وزنها الذري . أن مندليف لم يكن يتصور تعقيداً كهذا التعقيد في بناء الذرة . ولو تصوّره أو استشف طرفاً منه لكان ذلك باعثاً على القوضى والتشويش في عصره

وزن الهليوم الذري ٤ ورقم الذري ٢ . أما النواة فقوامها أربع وحدات من الكتلة (أي بروتونات ٢ كل منها موجب كهربية فيحتاج الى أربع وحدات سالبة كهربية لتعديلهما . في النواة اثنان من الوحدات السالبة<sup>(٢)</sup> وخارج النواة وحدتان أخريان . وسواء أخذنا بعدد الكهيربات

(١) راجع سيرته في اساطين العلم الحديث فصل « موزلي »

(٢) المقتطف : الغالب في تركيب نواة الهليوم أن النواة قوامها نوترونان ( النوترون بروتون وكهيرب متلاصقان ) وبروتونان حران . فيلزم تعديل البروتونين الحريين الكهيريان اللذان خارج النواة



خارج النواة وهو (٢) أو بعدد وحدات الشحنة الموجبة على النواة وهو (٢) فرقم الهليوم الذري هو (٢)

أما الاورانيوم فقواته تحتوي على ٢٣٨ وحدة من الكتلة (أي ٢٣٨ بروتوناً لأن البروتون له وزن وليس للكهرب وزن يذكر) وعلى ١٤٦ كهرباً . وكل كهرب يعدل بروتوناً في النواة . والغالب أنه مشترك معه في جسم نترون . فيبقى في النواة ٩٢ بروتوناً ليس لها ما يعدها . فخارج النواة يوجد ٩٢ كهرباً تعدل شحنتها الكهربائية وحدة ، وحدة الشحنة الكهربائية الموجبة التي في النواة وهي ٩٢ فالرقم الذري للاورانيوم ٩٢

معظم العناصر التي وزنها الذري أعلى من وزن الرصاص الذري (٢٠٧) عناصر مشعة أي تتحلل من تلقاء ذاتها وتطلق نتيجة لانحلالها ثلاثة انواع من القذائف — الفا وبيتا وأشعة جاما . ومعدل انحلالها الذاتي لا يمكن تغييره بفعل ما طبيعي أو كيميائي معروف للانسان فهو لا يتأثر بالفاعلات الكيميائية ولا بالضغط العظيم ولا بالبرد او الحرارة ولا بالجالات الكهربائية أو المغناطيسية أو الجاذبية (١)

والمقياس المعتمد في قياس معدل اشعاع عنصر مشع هو ما يعرف بمقياس « نصف العمر » أي مدى الزمن الذي يفقد فيه العنصر المشع نصف كتلته بالاشعاع . وهذا الزمن متفاوتة عظيمًا . ان « نصف عمر » الراديوم مثلاً ١٥٩٠ سنة ونصف عمر ثوريوم C جزء من مليون جزء من الثانية ونصف عمر الرصاص لا حد له أي أنه أكبر من أي قدر حدده العلم ان دقائق أشعة الفا شديدة الشبه بذرات الهليوم وهو العنصر الذي رقمه الذري ٢ ووزنه الذري ٤ . ولكن دقائق الفا تختلف عن ذرة الهليوم في ان الدقيقة ليس لها كهربان خارج النواة ، فهي نواة ذرة هليوم فقط وتعرف بأنها ايون ولكنها هليوم على كل حال لأن رقمها الذري ٢ وهو عدد وحدات الشحنة الموجبة على النواة

فن الواضح أنه اذا خرج أيون هليوم من مادة ما ، فوزن تلك المادة ينقص ٤ وشحنته الموجبة على النواة تنقص ٢ (لأن وزن ايون الهليوم ٤ وشحنته الموجبة ٢) . وهذا يعني أنه اذا انطلقت دقيقة الفا من مادة مشعة فالوزن الذري لتلك المادة ينقص ٤ والرقم الذري ينقص ٢ (لأن وحدات الشحنة الموجبة على النواة تنقص ٢ وهو مقدار شحنة دقيقة الفا)

اما اشعة بيتا فهي تيارات من الكهربات . وهي تنطلق من النواة في اثناء الانحلال الذاتي وبانطلاقها تزيد شحنة النواة الموجبة وحدة كاملة لكل كهرب ينطلق . وانقذاف احد الكهربات من النواة يختلف عن انقذاف احد الكهربات الخارجية التي حول النواة . فاذا فقدت



ذرة مغنيزيوم كبير بين خارجيين أصبحت أيون مغنيزيوم . ولكن اذا فقدت ذرة مغنيزيوم كبيراً من نواتها نحوّات الى ذرّة الومنيوم . وعلى المنوال نفسه اذا خسرت ذرّة صوديوم احد كبيراتها الخارجية غدت ايون صوديوم . ولكن اذا فقدت كبيراً من كبيرات نواتها نحوّلت ذرة مغنيزيوم . لأن انقذاف كبير من النواة بغير مقدار الشحنة الموجبة على النواة أي بغير الرقم الذري وبغير الرقم الذري يتغير العنصر . ولكنه في الوقت نفسه لا يغير الوزن الذري لأن وزن الكبير لا يذكر

أما أشعة جاما فاشبه بالأمواج منها بالدقائق لا كتلة لها ولا شحنة ولا تهمنا في نطاق هذا البحث فلنلق الآن نظرة على الانحلال الاشعاعي . إن العنصر الذي تنتهي اليه سلاسل الانحلال الاشعاعي راديوم G وهو نظير من نظائر الرصاص ، وزنه الذري ٢٠٦ ورقه الذري ٨٢ . وهذا النوع من الرصاص هو أكثر أنواعه شيوعاً . وتميزاً له عن الانواع الأخرى يدعى رصاص الأورانيوم ، لأنه نتيجة لانحلال أورانيوم (١) وهو أشهر أنواع هذا العنصر وهناك سلسلة أخرى من التحولات الانحلالية الاشعاعية تبدأ بنوع من الأورانيوم وزنه الذري ٢٣٥ ورقه الذري ٩٢ طبعاً لأنه لا يكون أورانيوماً إلا اذا كان رقه الذري ٩٢ . وتنتهي سلسلة تحوله الاشعاعي الى رصاص وزنه الذري ٢٠٧ ورقه الذري ٨٢ . وهذا الرصاص يعرف برصاص الاكتينيوم ، وهو رصاص ولكنه يختلف عن رصاص الأورانيوم . وثمة سلسلة أخرى تبدأ بالثوريوم ( وزنه الذري ٢٣٢ ورقه الذري ٩٠ ) وتنتهي الى رصاص الثوريوم وهو رصاص صحيح ولكن وزنه الذري ٢٠٨ ورقه الذري ٨٢ طبعاً في السلاسل الثلاث ينتهي التحول الى ثلاث مواد رقبها الذري ٨٢ فهي رصاص ولكن أوزانها الذرية مختلفة ( ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ ) ولذلك تعرف هذه الأصناف الثلاثة من الرصاص بوصف النظائر ( isotopes ) لأنها تحتل مكاناً واحداً في جدول موزلي الدوري وهذا المكان هو مكان العنصر ٨٢

الآن ان الوزن الذري للرصاص بحسب كتب الكيمياء هو ٢٠٧٫٢١ فكيف يكون ذلك ؟ عندما عين العلماء الأوزان الذرية بعد بحث شاق وتجريب دقيق أذهلهم وحيرهم ان يجدوا في بعضها كسوراً . من أين جاءت الكسور ؟ واذا كانت النظرية الذرية صحيحة فان الذرات لا تتجزأ فمن أين الكسور ؟ أو هل هناك خطأ في طريقة البحث والحساب ؟

الآن ان العلم الحديث أثبت ان البحث كان وافياً والحساب دقيقاً ولكنه جاءنا بالتفسير الدقيق البسيط ، لهذه الأحاجي . وهو تفسير مبني على ظاهرة النظائر . فالرصاص الذي نتناوله في أعمالنا ، وهو الرصاص الذي بحثه العلماء في مختبراتهم لتعيين وزنه الذري ، يشمل نظائر



GROUP	3	4	5	6	7	8	1	2	3	4	5	6	7	8
AT.No.	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94
NAME	Th	Pb	Bi	Po	-	Rn	-	Ra	Ac	Th	Pa	U		
AT.Wt.														
242														
238														
234														
230														
226														
222														
218														
214														
210														
206														

جدول تحول الاورانيوم بخروج نوعين من الدقائق ، منه دقائق الفا ودقائق بيتا. في الرأس الى اليمين اورانيوم ١ يتحول بخروج دقيقة الفا الى اورانيوم ١X ثم يتحول هذا بانطلاق دقيقة بيتا الى اورانيوم ٢X ثم الى اورانيوم ٢. وهذا يتحول الى ثوريوم وهذا الى راديوم وهذا الى رادون وهذا الى راديوم A وهو نظير للبولونيوم وهذا الى راديوم B وهو نظير للرصاص ثم يتحول هذا بانطلاق دقائق بيتا الى راديوم C وهو نظير للبرصموت فالى راديوم C- وهو نظير للبولونيوم. أما راديوم C- فيتحول الى راديوم C- بخروج دقيقة الفا منه وهو نظير الثاليوم. وراديوم C- يتحول الى راديوم D وهو أحد نظائر الرصاص. ثم ان راديوم C- يتحول بخروج دقيقة بيتا منه الى راديوم D فالى راديوم E فالى راديوم F وهذا يتحول بخروج دقيقة الفا منه الى راديوم G وهو نظير آخر للرصاص وآخر سلسلة التحول



الرصاص الثلاثة ، أحدهما وزنه ٢٠٦ والثاني ٢٠٧ والثالث ٢٠٨ . متوسط ما يوجد منها في كتلة من الرصاص المألوف ٢٠٧٢١ . قد يزيد مقدار نظير من النظائر الثلاثة فيرتفع متوسط وزن الثلاثة مجتمعة وقد يقل فيقل المتوسط ، ولكن الاحتمال الرياضي يعتمد عليه . ومؤداه ان كل كتلة من الرصاص تحتوي على مقادير من النظائر الثلاثة بحيث يكون متوسط وزنها ٢٠٧٢١ وهناك ظاهرة أخرى لا بد من الإشارة إليها وهي ظاهرة العناصر التي تتساوى في وزنها الذري وتختلف في رقمها الذري

فهنالك في جدول العناصر المشعة راديوم وزنه الذري ٢١٤ ورقه الذري ٨٢

وراد یوم C    »    »    ۲۱۴    »    »    ۸۳

ورادیوم  $^{238}\text{C}$  » » ۲۱۴ » » ۸۴

هذه العناصر تعرف باسم «ايسوبار» — بينما النظائر تعرف باسم «ايسوتوب» — وكل منها عنصر يختلف عن الآخر . فالأول نظير لعنصر الرصاص Pb والثاني نظير لعنصر البزموت Bi والثالث نظير لعنصر البولونيوم Po . وسبب هذا انقذاف كهربي على التوالي من العنصر الأصلي فزبد الشحنة على النواة أي الرقم الذري أي يتغير العنصر نفسه بغير ان يتغير الوزن الذري هنا يخطر للباحث سؤالان . اولهما لماذا يقف الجدول الدوري عند عنصر الاورانيوم (رقمه الذري ٩٢) ؟

ومبعث هذا السؤال نظرية رياضية في عدد الكهروبات الخارجية التي حول نوى الذرات في العناصر المختلفة . فقد تقدم معنا ان الذرات مرتبة في افاق اهليلجية حول النواة وعددها في كل افق يقع السلسلة الرياضية التالية

$$86 = (2_4 + 2_3 + 2_2 + 2_2 + 2_1) 2$$

ولو تمت هذه السلسلة لوجب ان يكون هناك بعد العنصر الذي رقمه الذري ٨٦ اثنان وثلاثون عنصر  $2(24) = 32$  ، الرقم الذري لكل منها يزيد واحداً على التوالي عمّا قبله . ولكن ليس في جدول العناصر الا ستة عناصر ارقامها الذرية ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ . فأن العناصر التي تلي ذلك الى ١١٨ ؟ أن العناصر ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وما يليها ؟ لماذا وقف جدول العناصر عند هذا الحد ؟

اما السؤال الآخر فهو هذا : اذا كان انقذاف دقيقة بيتا (اي الكهرب) انقذاً ذاتياً من فزارة عنصر ما ، رفع رقمه الذري أفلا يقضي قذف كهرب منها الى النتيجة نفسها ؟ او ليس هناك طريقة اخرى خاضعة لسيطرة البحث العلمي تمكن العلماء من احداث هذا التغير ، اي هل هناك وسيلة لتحويل العناصر تحويلاً بالقوة ؟







كهربائية لها ، ولكن لها كتلة تعدل كتلة البروتون وقال أن التفاعل يحصل كما يلي  
 بريليوم  $\frac{9}{4}$  + هليوم  $\frac{4}{2}$  ← كربون  $\frac{12}{6}$  + نوترون  $\frac{1}{0}$  + طاقة. أي أن إطلاق دقائق الفا (وهي نوى ذرات الهليوم) على البريليوم يحول البريليوم الى كربون ويصحب توليد الكربون انقذف نوترون ومقدار من الطاقة

وللاحظ القارىء أن وزن البريليوم الذري مع وزن الهليوم الذرى ٤ يعدلان وزن الكربون الذرى ١٢ مع وزن النوترون الذرى ١ (١٣ في الحالين) وأن الرقنين الذريين في نصف المعادلة الاول اي ٢٤ يعدلان رقم الكربون الذرى (٦) وليس للنوترون رقم ذرى ومنسج شديوك لاقتراحه المعادلة السابقة جائزة نوبل . ولا يخفى ان هذه الدقائق التي وزنها الذري كوزن البروتون اي ١ لا رقم ذري لها اي صفر اذ ليس لها شحنة على النواة ولذلك دعيت « النوترون » اي محايد . فلما فهم ان وحدات هذه الاشعاعات الخفية المنطلقة من البريليوم هي دقائق من الكتلة او جسيمات وليست فوتونات من اشعة جما ، حلت المصاعب الرياضية التي تحيط بما تتصف به من طاقة عظيمة اي قدرة على النفاذ. وثبت ان تقدير بوث وبكر صحيح وان تقدير ايرن كوري وزوجها خاطيء لأنه كان مبنيًا على مقدمات خاطئة عن طبيعة هذه الاشعاعات

ثالثاً — وتطور الطائفة الثالثة من التجارب حول اسم فرمي Fermi الايطالي وهو كذلك

احد نايلي جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٣٨

بدأ فرمي في سنة ١٩٣٤ بحثه باطلاق النوترونات على طائفة من المواد فتوصل الى نتائج لم تكن متوقعة . ذلك بان دقيقة الفا لها شحنة كهربية موجبة فاذا قذفت على مادة ما واخترقت مارة بقرب نواة احدى الذرات — والنواة كما نعلم شحنتها موجبة كذلك — فان الدقيقتين تندافمان ولذلك قلما يسهل على دقيقة من دقائق الفا ان تصل الى النواة . ولكن النوترون ليس له شحنة كهربية لا موجبة ولا سالبة فنطاق النواة الكهربى لا يدفعه ولا يحرفه فاحتمال اصابة النوترونات لنوى الذرات اكبر

وعلى ذلك جمع فرمي السؤالين المتقدمين في سؤال واحد . هل نستطيع ان نقذف جسيمات بيتا ( اي الكهربات ) من نواة الذرة بقنابل تولدها نحن فتخضع لسيطرنا ؟ اذا كان ذلك مستطاعاً فهل نستطيع ان نقذف الاورانيوم بها فنولد عناصر رقما الذرى أعلى من رقم الاورانيوم الذرى ؟ أي هل نستطيع ان نولد العنصر ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥ وهلم جرا

(١) المقتطف: ذهب الى استوكهلم لتسلم جائزة نوبل ثم سافر الى الولايات المتحدة ولم يعد منها الى ايطاليا



أقدم أولاً على تجربة هذا الرأي في العناصر الخفيفة فأصاب بعض النجاح مما تدل عليه المعادلة التالية  

$$\text{الورانيوم } \frac{238}{92} + \text{نيترون } \frac{1}{0} \rightarrow \text{صوديوم } \frac{238}{114} + \text{هليوم } \frac{4}{2}$$
  
ثم صوديوم  $\frac{238}{114} \rightarrow$  مغنيزيوم  $\frac{238}{122} +$  إلكترون. ومعنى هذا ان الكترونات ( كبريتاً  
اي دقيقة بيتا) تنفذ من نواة الصوديوم فيرتفع رقمه الذري من ١١ الى ١٢ فيصبح مغنيزيوم  
ويبقى وزنه الذري على ما هو

ولكن ماذا حدث للاورانيوم؟ أسفرت التجارب في الأورانيوم عن نوعين من التحول.  
فقد وجد قلمي ان اضافة نيترون الى الاورانيوم تحمله على اطلاق جسيمات بيتا أي كبريات  
أورانيوم  $92 +$  نيترون  $\frac{1}{0} \rightarrow$  أورانيوم  $92^*$   $\rightarrow$  ايكارينيوم  $93 \rightarrow$  ايكاوسميوم  $94$   
ويؤخذ من المباحث التي نشرت حتى منتصف سنة ١٩٤٠ ان نصف عمر العنصر ٩٣ يومان  
وثلاثة أعشار اليوم وربما كان نصف عمر العنصر ٩٤ بضعة آلاف من السنين

وفي أواخر سنة ١٩٣٩ وردت أنباء من السويد بكشف ما يعرف الآن بظاهرة انشطار  
الاورانيوم. وهذه الظاهرة تختلف عن الظاهرات التي تقدم ذكرها. ان التحول في الظاهرات  
السابقة كان يتم بتحول الرقم الذري بنقص وحدة أو وحتين أو زيادتهما أي أن مدى التغير كان  
بجزء صغير من النواة او اضافته. أما في الظاهرة الجديدة ظاهرة الانشطار فذرة الاورانيوم  
نفسها انشطرت أو انفلقت شطرين أو فلقتين تكادان تكونان متساويتين بعد القذف بالنيترون  
أي أن نواة الاورانيوم لم تتحلل عن دقيقة القاذف بالنيترون بل انشطرت شطرين  
كل منهما نواة ذرة جديدة كالـ كربون (رقم الذري ٣٦) والباريوم (رقم الذري ٥٦)  
ومجموعهما ٩٢ وهو رقم الاورانيوم الذري. وهذا الانقسام الى قسمين يكادان يتساويان حمل  
العلماء على وصف هذه الظاهرة بالانشطار بدلاً من التحول. وصحب انشطار كل نواة ١٧٥ مليون  
الكيلو إلكترون فولط. نعم أن طاقة قدرة الكيلو إلكترون فولط طاقة صغيرة جداً والميجا إلكترون فولط  
يزيد عليها مليون ضعف ومع ذلك يبقى طاقة صغيرة ولكن عندما نذكر عدد ذرات الاورانيوم  
في غرام منه ( وهو عشرون الف مليون مليون مليون ) فالطاقة التي تتولد من انشطار ذرات  
الأورانيوم في غرام واحد لا بد أن تكون طاقة عظيمة <sup>(١)</sup> إلا أن استخلاص مقدار يسير من  
أورانيوم ٢٣٥ الذي يحدث فيه هذا الانشطار على أوفى وجه شاق جداً فلا خوف على العالم  
الآن من هذه الطاقة المنطلقة من ذراته

\*\*\* النجمة تشير الى ان دخول النيترون جعل ذرة الاورانيوم مشعة على وجه خاص فتطلق دقيقة بيتا فتتحول  
الى العنصر الذي يلي  
(١) ايراج القاري. في هذا الجانب من الموضوع اي انشطار الاورانيوم الفصل الوافي الذي كتبناه  
في مقتطف يوليو ١٩٤٠ صفحة ١٢٤



## هنري برجسون

لعل أدهم

نعت اخبار فيشي في اليوم الخامس من يناير الى العالم الفيلسوف الفرنسي الدائع العصيت  
هنري برجسون ، وقد طويت بوفاته صحيفة فيلسوف من كبار فلاسفة العصر ومفكر ممتاز في  
الطبقة الاولى من اصحاب المذاهب الفلسفية الحديثة والابنية الفكرية الرائعة . وبرجسون مفكر  
جم الطرافة ، عميق التفكير ، بارع الآداء ، وقد لقت فلسفته الانظار منذ شبابه الباكر وظهر  
طلائع مؤلفاته ، ومذهبه مثل سائر المذاهب الفلسفية التي اشتهر امرها وذاع تأثيرها ، استهدف  
لنقدات هادمة واخضع لتحليلات قاسية وتلقى هجمات عنيفة ، وقد قاوم فلسفته في فرنسا نفسها  
المفكر الفرنسي المعروف جوليان بندا ، ونقدها نقداً بارعاً الفيلسوف المعاصر جورج سانتاينا في  
بحث مستفيض ، ولم يعفها برتراند رسل من تعقيباته اللاذعة وملاحظاته النفيسة

وقد مات برجسون عن سن عالية فقد ولد في باريس سنة ١٨٥٩ واسرته من اصل ارلندي ،  
والموت هو النهاية التي كانت متظرة له وقد أدى واجبه وابلغ رسالته ، ولكننا كنا نود لهذا  
الفيلسوف السماح ان بودع الدنيا في احوال اسمح وأقل حاسكاً من الاحوال الواقعة التي تعاني  
فيها فرنسا ذل الهزيمة وألم النخاذل ، وسيصبح موته للمفكرين والباحثين ان يعيدوا النظر في  
فلسفته ويراجعوا سابق آرائهم فيها ، لانها اكتسبت بوفاته الصورة النهائية التي لا يتلوها  
تعديل ولا رجوع عن موقف او جلاء بعض المشكلات او دفع بعض الاوهام والاختفاء  
وقد يكون من الخير ان نذكر في هذا العصر الذي غلبت فيه على بعض الامم الآراء  
العنصرية الزائفة ان برجسون احد اربعة من ابناء اسرائيل كان لهم تأثير كبير في التفكير  
الحديث ، والثلاثة الآخرون هم فرويد العالم النفسي الذي قال عنه ماكدوجال انه أكبر عالم  
نفسى عرفته الدنيا منذ عهد ارسطو ، واينشتاين صاحب الآراء المعروفة في النسبية ، وشبنجلر  
مؤلف كتاب « تدهور الغرب » الذي كان له تأثير كبير في دراسة التاريخ والموازنة

بين الحضارات



ولست احاول في هذا المقال تحليل فلسفة برجسون او ارسم صورة مجملة لها ، وإنما اريد ان اشير الى بعض نواحيها البارزة وبعض ما اسفرت عنه من الافكار المرتبطة بالاحوال الحاضرة اوضح برجسون افكاره الاساسية واتجاهاته الاصلية في طائفة من المؤلفات ، أشهرها «الزمان والارادة الحرة» الذي ظهر في سنة ١٨٨٨ ، و«المادة والذاكرة» وقد ظهر سنة ١٨٩٦ و«التطور الخالق» وهو أجمع مؤلفاته فلسفته وأكبرها شأناً وقد ظهر في سنة ١٩٠٧ وهو أقوى دعامته تقوم عليها شهرة برجسون وفلسفته

وفلسفة برجسون التي بسطها في هذه المؤلفات تبدو سهلة يسيرة شائقة العرض بليغة الاسلوب موفقة المجازات والاستعارات بديعة التشبيهات ، ولكنها قائمة على وجهة نظرية طريفة قد يجد الانسان صعوبة حمة في إدراكها . وكما أن أنصار مذهب الذرائع (البراجمزم) قد استندوا في فلسفتهم الى قول الفيلسوف اليوناني بروتاغوراس « ان الانسان مقياس كل شيء » فكذلك برجسون يستند في فلسفته الى قول هرقليلطس « ان الاشياء في تغير متصل » وفهم هذه الفكرة الهينة في مظهرها هو الصعوبة الكبرى في فلسفة برجسون ، وسأوضح في اینجاز كيف انتهى برجسون الى هذه الفكرة ثم أبين طبيعتها وأشفع ذلك بالحديث عن الموهبة الموكلة بادراكها أن الطريقين اللذين أفضيا ببرجسون الى الاعتقاد بأن الاشياء في تغير متصل هما علم الحياة وعلم النفس ، فقد كان المتعارف عند العلماء أن حقائق النشوء والارتقاء إما أن يكون مصدرها التنوعات التي طرأت على الانواع بطريق المصادفة وتكررت وبقيت للملاءمة للبيئة كما رأى دارون ، وإما أن التكيف للملاءمة البيئة هو العامل الحاسم في النشوء والارتقاء كما رأى لامارك وكلما تغيرت البيئة تبع ذلك تغير في الانواع لمحاولتها للملاءمة بين نفسها وبين التغير الطارىء واكثرها نجاحاً في عملية التكيف يبقى ويصلح والذي يعجز يفنى وينقرض ، وواضح أن هذين المذهبين يرجعان بالتطور الى البواعث الآلية المحضة الحالية من أثر العقل أو تحري القصد

وهذا التصور الآلي لا يكون يرفضه برجسون ، ويجهد نفسه في جمع حقائق شتى من عالم الحشرات وعالم النباتات وعالم الحيوانات لا يفسرها هذا النظر الآلي تفسيراً يصح أن يطمأن اليه وملاءمة البيئة أو بقاء الاصلح لا يفسران لنا بحال التنوعات الفجائية التي تطرأ على الانواع ويتساءل برجسون « اذا كان العامل الحاسم في التطور هو الملاءمة للبيئة والتكيف بحسب مقتضاياتها فلماذا لم تقف حركة التطور منذ آلاف السنين ؟ »

ولماذا ظلت الحياة تفتن في خالق تغيرات جديدة ؟ ولم لم تطمئن الى ما وصلت اليه من تجاوب ووفق مع البيئة ؟ أليس معنى ذلك ان خلفها حافظاً يحدها على اقتحام العقبات والاندفاع الى غايتها المشودة وهي التزيد من التفوق والاستعلاء ؟ وهذا الحافظ هو ما يسميه برجسون الدافع



الحيوي وهو العامل المحرك للتطور ولولاه لغمض أمر الذشوء والارتقاء والنوى تفسيره  
وحقائق علم النفس كذلك تنأدى بنا الى هذه النتيجة ، وللمذهب الآلي في علم الحياة نظير  
في علم النفس يحاول ان يعزو كل ما يطرأ على الوعي من الأحاسيس والتأثرات والأفكار الى  
ما يحدث للجسم ، وبرجسون ينكر الاكتفاء بذلك ويؤيد رأيه بشواهد متعددة عن حالات نفسية  
مستقلة عن التأثيرات العضوية ، والتفسير الآلي في رأي برجسون لا يعمل لنا وجود « العقل  
الباطن » ، والمنح عند برجسون شيء غير الوعي ، وليس هو سبب الوعي ، وانما هو مجرد عضو  
الوعي او الباب الذي ينفذ منه الوعي الى المادة

واذا كان الوعي مستقلاً عن المنح ، وانه يتخذ المنح وسيلة لأغراض خاصة فكيف نحدد  
الوعي إذاً؟ الجواب على ذلك ان الوعي هو « الدافع الحيوي » ، ويحاول برجسون بعد ذلك  
ان يبين لنا حقيقة الوعي ، وعنده ان الوعي يبدو لنا في بادى الأمر على أنه مكون من  
حالات نفسية متعاقبة ، كل منها وحدة قائمة بذاتها ، وهذه الحالات مشبكية ومتراصة بعضها  
ببعض ويتكون منها ما يسمى « النفس » كما يتكون العقد من الفرائد ، ولكننا اذا استبصرنا  
ظهر فساد هذا الرأي ، ومصدر الخطأ هنا أننا عندما نسلم بأن حالة من الحالات قد تبدلت  
وذهبت لطيتها وأفسحت الطريق لغيرها يعزب عن بالنا ان نفس تلك الحالة لم تستقر بصورة  
نهائية ، وان ما نخاله بقاءها لم يخرج عن كونه تغيراً مستعراً ، وأنت اذا لمحت شيئاً ثابتاً من  
زاوية خاصة وفي نفس الضوء ثم كررت الطرف نحوه كرة ثانية كانت اللمحة الأولى مختلفة عن  
اللمحة الثانية لأن احدهما أقدم من الأخرى ، واذا كان ذلك كذلك في مشاهدتنا للمحسوسات  
الخارجية فهو أصدق في ادراكنا للحالات الداخلية ، فنحن نتغير بدون انقطاع ، والفكر  
والاحساس والارادة كلها في تغير دائم ما بين طرفة عين وانتباهتها

وليس هناك اذاً فرق حقيقي بين الانتقال من حالة الى حالة او البقاء على ما يسمى « حالة  
واحدة » ، ونحن نتخيل هذا الفرق لأننا لا نحس هذا التغير الا بعد ان يصير من الواضح  
بحيث يجتذب التفاتنا فنعترف حينذاك بأننا قد انتقلنا من حالة الى حالة جديدة ، ونستخلص من  
ذلك ان هناك حالات عقلية متعاقبة . ومن اجل ذلك نخال انفسنا اشخاصاً ثابتة على الدوام  
برغم التغير ، ولكن الحقيقة ان كل شيء في تغير ، وينتهى برجسون الى اننا انفسنا في تغير متصل  
وان حياتنا في صميمها هي « التغير » ، والنفس التي لا تتغير غير موجودة ، والواقع انه لا حقيقة  
سوى « التغير » ، فنحن جوهرنا التغير وكذلك جوهر الكون ولب لبابه هو التغير ، والوجود  
فيض مستمر والتطور هو حركته الدائمة

ولكن كيف ندرك ذلك؟ ان هذه الحقيقة الكبرى لا تدرك عن طريق العقل وانما تدرك



« بالبصرة » او « الذوق » . وفلسفة برجسون تشك في العقل وتراه محدوداً قاصراً لا يستطيع الوصول الى الحقيقة لان عمله التجريد والتحليل والتقسيم ، ولا ينكر برجسون ان العقل يوافينا بمعلومات نافعة وضروب صالحة من المعرفة ولكن هذه المعرفة محدودة ضيقة المدى الى حد كبير، وقيمتها متوقفة على فروض لا برهان عليها ولا دليل على مطابقتها للواقع ، ومعرفتنا المستمدة من العقل والتجربة ربما تكون سراباً خداعاً ومظهراً زائفاً . وهناك مسائل كثيرة يعجز العقل عن ادراكها ولا يستطيع تفسيرها، ولكي نحصل على المعرفة الحقيقية يلزم أن نعكس أسلوب التفكير ونعكس عن التحليل والتفسير والتعليل . ويقول برجسون في رسالته النفيسة التي اسمها « مقدمة ما وراء الطبيعة » « يوجد طريقتان مختلفتان لمعرفة اي شيء من الاشياء ، الطريقة الاولى هي ان نطوف بالشيء ونلم به الملمأ ، والطريقة الثانية هي ان نخلص اليه ، والطريقة الاولى متوقفة على وجهة النظر التي تلحج منه وعلى الرموز التي نعبر بها عن انفسنا ، والطريقة الثانية لا تتوقف على وجهة النظر ولا تعتمد على الرموز ، والمعرفة الاولى تقف عند النسبي والمعرفة الثانية تنتهي الى المطلق »

وفلسفة برجسون محاولة هادمة لزعزعة العقل عن مكانته وانزاله من عليائه وللعقل وظيفة مفيدة في ذاتها وهي العمل في عالم المادة . ويستبين عجز العقل عندما يحاول ان ينير عالم الروح او يتغلغل الى كنهه الواقع ، وقد عمل العقل الحديث في عالم المادة فنجح نجاحاً باهراً وحاول أن يقتحم عالم الروح فشمل فشلاً ذريعاً . ويرى برجسون اننا اذا تخلصنا من سلطان العقل واعتمدنا على البصيرة استطعنا ان نعرف الحقيقة معرفة مباشرة وأرحنا العقل من عمل لا يصلح له . ويتظاهر برجسون بأنه لا يريد أن يضيف الى المذاهب الفلسفية مذهباً جديداً وانما يريد أن ينحو نحواً جديداً في التفكير ، وان يعتمد هذا التفكير على البصيرة لا على العقل

من أمثلة ذلك اننا عندما نشاهد صورة من الصور قد نراها عقب النظرة الاولى مجموعة من الخطوط والرسوم والألوان قد رسمها المصور الفنان على اللوحة ، وقد نراها بعد النظرة الثانية مجموعة غير موزعة ونندرك ان حقيقتها متوقفة على هذا الشكل المتناسك لا على التفصيلات والدقائق ، ونحن بالبصيرة نفهم طبيعة الحقيقة من حيث هي كل لا يتجزأ ، والفنان العظيم يستطيع ان يأتي بالروائع والآيات الفنية لنفاذ بصيرته خلال المظاهر السطحية وتغلغلها الى مضمير الأسرار المستقرة خلف المظاهر ، ورؤيته لهذه الحقيقة هي التي تقوم عليها عظمة فنه ، وهو يعيد تصوير هذه الرؤية على اللوحة ، وجوهر الصورة هو حقيقة تلك الرؤية لا الألوان والاصباغ والأشكال والرسوم أو براعة الصناعة والقدرة على الاداء ، وانما يستطيع الفنان العظيم ذلك بالتغلغل العاطفي الى صميم موضوعه واكتناه معناه



ولكن ما وظيفة العقل إذن ؟ مجال العقل هو الأغراض العملية ، وهو يشق طريقه خلالفيض الحقيقة المتتابع ، وينمحت منها أشياء صلبة تسمى الأشياء المادية ، ويفرق بين الحالات النفسية الطارئة على الوعي ، وتنسيقاته وتخطيطاته ليس لها وجود حقيقي وإنما هي صور مفروضة على الحقيقة لتلائم أغراضنا العملية ، وهذه المظاهر المنبثقة من نفوسنا تعكسها علينا الحقيقة كما نترأى الصور في صقال المرآة فتتوهم ان تلك الصور من صنع الحقيقة

وتصور العقل للحقيقة على هذا النمط له نتائج متناقضة عجيبة تبدو واضحة في مسألة الحركة وهي علة المغالطة المشهورة التي ذهب اليها الفيلسوف اليوناني زينون الابلي تلميذ بارمنيدس وأثبت بها ان الجسم المتحرك ان يبلغ غايته الا اذا قطع أولاً نصف المسافة اليها ونصف النصف وهكذا الى ما لا نهاية ، ولما كان اجتياز الانهائية ممثماً فان الحركة ممتعة وان السهم كذلك غير منطلق وحجته في ذلك قائمة على ان الزمان مؤلف من آتات غير متجزئة ، واذا راقبنا السهم في مرقه في أية آونة او مكان فهو اما أن يكون حيث هو او لا يكون ، فاذا كان حيث هو غير موجود فهو اذا لا يتحرك في هذه الآونة. وقس على ذلك سائر الآتات . وقد أدى ذلك بكثير من الفلاسفة الى انكار الحركة جملة وانكار حقيقة الزمن . ويرى برجسون أن مصدر الخطأ هنا هو أن العقل حاول أن يقسم ما هو غير قابل للتقسيم ، والعقل يقسم الزمن الى ساعات ودقائق وثوان ، وأمثال هذه التقسيمات لا أساس لها من الحقيقة ، وهو يشبه العقل بالسينما الذي يلقط مظاهر من حركة الاشياء كل منها يبين حال معينة ثابتة ، فالعقل يقدم لنا مظهرأ راءماً للحقيقة هذه بعض النواحي البارزة والسمات البادية لفلسفة برجسون ويتضح منها أن فلسفة برجسون تناصر النزعة الصوفية وتؤيدها فيما تذهب اليه تأييداً تاماً وتشجع من ناحية أخرى تلك النزعة التي غلبت على العصر الحاضر واعانت على ظهور الفاشية والنازية وما بهما من المذاهب الرجعية وهي نزعة التمرد على العقل ، ولست بطبيعة الحال أقصد الى أن التي تبعة الولايات التي أحاقت بالعالم من جراء أمثال هذه المبادئ على فيلسوفنا الكبير ، وإنما أقصد الى ان أين مدى قوة الأفكار ومقدار سيطرتها على العصور المختلفة ، وخروج برجسون على طرائق العقل وأساليب العلم كان حرياً بأن يغري أصحاب العقول غير المتزنة بالاسراف في الاستجابة للعاطفة ومنا بذة العقل والتعويل على الغريزة والنزوع الى القوة ، ولعل المتطرفين من تلامذته ومريدي فلسفته قد اساءوا اليه اكثر من الذين عملوا على مقاومة افكاره وتصدوا لنقض نظرياته ، وحسب برجسون انه قد أحسن القصد وأخلص النية وأبلى جدة شبابيه وأفنى زهرة عمره وهو يعمل من اجل الفكر في تواضع ملحوظ واخلاص جم وجهه متواصل ، وليس في وسع احد منا ان يعلم النتائج النهائية لاعماله او تفكيراته لأن علم الغيب قد تفرّد به علام الغيوب



# (١) كيف نهض بالريف

من الوجهة الصحية

للدكتور عبد الواحد الوكيل بك  
استاذ علم الصحة والطب الوقائي بكلية الطب

مشكلة الاصلاح في المناطق الريفية وسكانها القرويين حتى في الممالك الأوربية والأميركية الراقية تعتبر المحك الحقيقي لليقظة الاجتماعية والانسانية بين الطبقات المتعلمة في تلك الشعوب كما انها تعتبر ميزان الجدارة الادارية للحكومات فالطبقات المتعلمة أو أكثر أفرادها على الأقل في الوقت الحاضر تتكوّن من ابناء الريف وهم بذلك يحملون في أعناقهم ديناً كبيراً للطبقة التي منها برزوا وعلى اكتافها ارتفعوا. ذلك أن يكونوا لسانها الناطق وعقلها الباحث. وان يظلوا لها طول حياتهم دعاة اصلاح وطلاب رقي وانهاض

أما الحكومات فان جدارتها لا يمكن ان يكتفى في قياسها بما تقوم به من مشروعات سهلة نسبياً كخدمة فريق راق من الشعب مثل سكان المدن. أو شق ترعة أو انشاء قناطر أو تجنيد جيش فحسب. بل ان جدارتها العظمى يجب ان تنبدى في رفع مستوى الحياة العائلية والشخصية بين السواد من السكان وهم أهل الريف

ومع ذلك فيجب ان نعترف بأن مشكلة الاصلاح الريفي سواء من الوجهة الصحية او سواها ليست مشكلة هينة التناول ولا هي سريعة الحل. وذلك لعدة أسباب. لعل أهمها ان ذلك الاصلاح هو من النوع المركب لا البسيط إذ يجب ان يتناول رفع المستوى الريفي من عدة جوانب، أعني رفع المستوى الاقتصادي والمستوى الثقافي والمستوى الصحي في وقت واحد لارتباط كل منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً وتفاعل بعضها مع البعض الآخر تفاعلاً مستمراً يجعل منها تسع مشكلات لا ثلاثاً فقط. بل أننا اذا أضفنا اليها ضرورة تعاون الفلاح مع سواء في رفع مستوى صارت المشكلات ست عشرة لا أربعاً فحسب

وقد ساعد على تأخر ذلك الاصلاح في مختلف نواحيه ان السكان الزراعيين يعيشون متناثرين

(١) محاضرة ألقاها في قاعة يورث يوم الجمعة ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ (بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية)



في زهاء أربعة آلاف قرية وعشرين ألف عزبة . أي لا تضمهم بقعة واحدة يسهل فيها الإصلاح دون تكرار للجهود في تلك الألوف من الأمكنة . وانهم أنفسهم لا يكادون يشعرون في فقرهم وجهالتهم بفضاضة كبيرة في أحوال معيشتهم وصحتهم ولا يباحون في طلب اصلاحها كما فعل مثلاً المشتغلون بالصناعة وهي أحدث في حياة الانسان من الزراعة . ومع ذلك فقد نجح أبناؤها حتى في مصر في الحصول على حقوقهم المالية والاجتماعية والصحية مدعمة بالقوانين واللوائح قبل ان يحصل على مثلها أو أقل منها أقاربهم الفلاحون . مستفيدين في ذلك من تجمعهم في المدن وعلى مقربة من السلطات الحاكمة وتحت انظارها

واذا اعتبرنا ان العمال جديرون بمثل تلك العناية الخاصة بحكم تعرض صحتهم وحياتهم في المصانع لأمراض وأخطار كبيرة من اصابات وعاهات وأذى بالقيار والغازات والسموم وبحكم ميل أرباب الصناعة الى استقلال قواهم وجهودهم الى أقصى حد . فانه يجب ألا ننسى ان الزراعة في بلادنا الحارة بصفة خاصة يجب اعتبارها كذلك صناعة مؤذية . اذ ان لها نوعاً خطيراً من أمراض المهنة كالبلهارسيا والانكلستوما والملاريا والتعرض للعوامل الجوية الشديدة من البرد في الشتاء الى ضربة الحر والشمس ( الرعن ) في الصيف . فضلاً عن مشكلات الايجارات والاحور وغير ذلك مما يحتاج الى وقاية صحية وحماية اجتماعية

أما تأخر الإصلاح الصحي بصفة خاصة في الريف فملينا اذ شئنا معرفة سببه الأساسي أن يحدد أولاً موقف ذلك الجانب بالقياس الى سواء من عوامل المشكلة الريفية . ذلك أننا اذا أعطنا النظر وجدنا أن أسوأ تلك العوامل وأبلغها تأثيراً في الحالة الصحية هو عامل الفقر . بحيث لا ينتظر بلوغ درجة كبيرة من النجاح الصحي مع بقاء أغلبية الفلاحين في مستواهم الاقتصادي الحالي أي مجرد اجراء يشغلون للحصول على الكفاف من القوت

ويكفي لاثبات ذلك ما نراه من ان امتلاك أي فلاح لشيء من الأرض ولو كان فداناً واحداً يرفع في الحال مستواه الصحي ومستوى زوجته وأولاده درجات فوق مستوى جيرانه . وذلك لممكنه من الحصول على مقدار اكبر من تلك الضروريات الأساسية للصحة الشخصية وأهمها ثلاثة أشياء هي الغذاء الصالح والملبس الكافي والسكن المناسب

فالفقير مهما يكن جاهلاً سواء في الريف أو الحضر ميال بطبيعته وغريزته لتحسين حالته الجسدية والمعيشية تواق لرفع مستواه بذاته اذا تيسر له قليل من المال . اما اذا بلغ من المترتبة القدر الذي عليه فلا حنا اليوم فلن ينتظر لحالته الصحية تحسن ولو كان فلاحاً انكليزياً أو أميركياً أي في تلك الاقطار المتمتعة بأرقى نظام صحي واكمله

واذا كنا في بلد لا يستطيع أغلب أهليه شراء نعل بقرش ونصف أو قرشين يقيهم عدوى



الا نكلستوما ويرفعهم عن طبقة السائمة بحيث يقترح البعض شراء تلك النعال واهدائها اليهم ونحشى آخرون ان يبيعوا تلك النعال بعد توزيعها عليهم كما فعلوا في الصابون الذي وُهبوه في بعض الجهات لغسل ابدانهم فلا يجب ان نتعب كثيراً في وضع اصبعنا على مصدر الضرر وعلة اللل وهو الفقر

واذا كانت الحكومة ومجالس المديرية والمجالس القروية تستطيع توفير سبل العلاج والوقاية الطبية لتلك الملايين فان هذه الخدمات مع ضرورتها لا يمكن وحدها ان تصل الى الهدف المنشود كاملاً اذ ان خزانة هذه الهيئات لا تستطيع ان توفر لهم جميعاً تلك الضروريات الأساسية وهي الغذاء الكافي والملبس والسكن المناسبين وبدونها لا يمكن في النهاية منع المرض والعيش معيشة صحية أو شبه صحية

فاذا استطعنا تخفيف أثر الفقر في الريف بالعمل على حسن توزيع الثروة الزراعية في المستقبل وحماية ملكية الفلاح لها بتحديد حد أقصى لما يمكن أن يملكه منها الأغنياء ولو في قابل الايام فيضطرون بذلك الى استقلال أموالهم في الشركات والمصانع والمباني وما أشبه ذلك بدل استعمالها في شراء الاراضي الزراعية . واذا عملنا على سرعة اصلاح الاراضي البور وري مناطق أخرى من الصحراء لتوزيع تلك الاراضي على فلاحي المناطق المزدهرة واذا عملنا على تحسين غلة الارض وسرعة ادخال زراعات وصناعات زراعية جديدة ونعيم الجمعيات التعاونية وما الى ذلك مما أتركه الى من هم أعلم مني بها بين الباحثين — لو فعلنا ذلك لأستطعنا السير حينئذ في النهضة الصحية بأسرع مما كان ومما ينتظر

وكذلك اذا شئنا توزيع المسئولية الأساسية في تأخر الاحوال الصحية في ريف هذه البلاد وجب ألا نضعها كلها على باب وزارة الصحة . كلاً ولا كلها على باب الفلاح ذاته — بل ربما كان الواجب وضع شطرها الأكبر على أبواب أخرى أو على باب وزرائنا ونوابنا الذين يستطيعون بطريقة حاسمة أو تدريجية تغيير نظامنا الاقتصادي وجعله أجدى على الفلاحين الفقراء بما هو الآن . وهو تغيير تم في ممالك عديدة أخرى . معتبرين اياه أساساً للنهضة الصحية الريفية وسواها من النهضات . او بتعبير آخر معتبرين اياه قتلاً للأفمى بدق رأسها حيث نك الرأس هي الفقر ، بينما جسم الأفمى هو الجهل ، وذنبها المرض

ومع ذلك فالتا يجب ألا نجلس صامتين عن تحسين الشئون الصحية الريفية منتظرين نحسن دخل الفلاح او شموله بمثل تلك الرعاية القانونية التي يتمتع بها العمال الصناعيون . فانه من جهة يظهر أننا سننتظر طويلاً الى ان يمن الله علينا بمصلح جريء يسدي هذه الخدمات الجليلة للبلاد ومن جهة أخرى فان سوء الحالة الصحية القروية وان رجع أغلبه الى الفقر فان هناك عوامل



أخرى مسببة له كاهمال السلطات لشئون الريف مدة طويلة وكنفشي الجهل والعادات السيئة بين سكانه وكخطأ سياسة الري والصرف القديمة وما أشبه ذلك مما يمكن ملاحظته سريعاً أو تدريجياً لرفع المستوى الصحي درجة عما هو الآن

ولتحسين الحالة الصحية في الريف يجب ان يكون أول ما نضعه نصب أعيننا ان الفلاح في حالته الراهنة هو شخص مثقل بأمراض عديدة كالبلهارسيا المصاب بها ٧٥٪ من السكان والانكلستوما المصاب بها ٥٠٪ والديدان المعوية الأخرى المصاب بها ٥٠٪ أيضاً والملاريا المصاب بها ١٥٪ من سكان الدلتا والرمد المصاب به ٩٠٪ والبلاغرا المصاب بها ٧٪ ومرض الزهري المصاب به ٧٪. يضاف الى ذلك أمراض الأطفال خاصة كالاسهال وغيره وهي مما يسبب أكثر من نصف الوفيات العمومية

ومثل هذا المجتمع المثقل بالأمراض يحتاج منا الى نوعين من الخدمة أولها اسعافه سريعاً من الوجهة الطبية بتوفير سبل العلاج له من تلك الأمراض. وثانيهما العمل على وقايته من تلك الأمراض

أما النوع الأول من الخدمة الصحية الريفية وهو توفير سبل العلاج لهذا الفلاح المريض فهو نوع أسهل مثلاً من الآخر ومع ذلك فلا يمكننا القول أننا بلغنا فيه درجة تذكر من النجاح. فقد سارت خطة العمل مدة طويلة أي منذ عهد الحكم البريطاني على انشاء مستشفيات عمومية في بنادر المديرية والمراكز لخدمة سكان القرى التابعة لها فلما وجد ان الفلاح لا يلجأ الى تلك المستشفيات لبعدها عن مقر عمله هذا ما لم يبلغ درجة اليأس في مرضه صار تعديل تلك الخطة بابتداع مستشفيات متنقلة لخدمة الأمراض كالرمد والأمراض المتوطنة تضع خيامها في جهة ما شهراً أو اثنين أو أكثر ثم ترحل الى سواها ليعم خيرها المزعوم مختلف النواحي والجهات

ويكفي دليلاً على عدم نجاح هذه السياسة العلاجية الريفية النجاح الوافي وعلى ضرورة العمل على تغييرها حتى تماشى حاجة البلاد وزيادة السكان والأمراض فيها ان نسبة الوفيات في الريف لم تنخفض شيئاً في غضون هذه السنين الطويلة بل ان تلك النسبة قد ارتفعت من متوسط ٢٤ في الألف في الخمس السنوات (١٩٢١ - ١٩٢٥) الى ٢٤٣ في الفترة التالية (١٩٢٦ - ١٩٣٠) ثم الى ٢٥١ في الألف في المدة (١٩٣١ - ١٩٣٥) أي ان الحالة قد زادت سوءاً في الريف بمقدار ٥٪ على الأقل في تلك الخمسة عشر سنة. بينما ان سكان الحضر المصري هبطت وفياتهم في تلك الفترة ذاتها بمقدار نحو ١٠٪. كما لا يستطيع اجد القول ان عدد



المصابين بالامراض الهامة من متوطنة وسواها قد انخفض في تلك الفترة الانخفاض اللائق بطب القرن العشرين

كما ان وفيات الأطفال الرضع في الريف قد ارتفعت كذلك في تلك المدة نفسها من ١٢٩ الى ١٣٨ الى ١٥١ لكل الف مولود أي زادت بمقدار ١٧ ٪. بينما ان المدن المصرية سجلت في تلك المدة انخفاضاً بمقدار ٧٥ ٪.

ولعل في هذه الأرقام برهاناً مقنعاً على عدم سداد الخطة العلاجية التي لا تزال متبعة الى اليوم كتراث من الماضي. فانه يجب ألا ينتظر من الفلاح وهو في جهله الحالي وانكاله على القضاء والقدر مع كثرة أعماله الزراعية أن يرحل كيلو مترات عديدة للوصول الى الطبيب في المستشفيات المركزية. كما يجب ألا نتظر إلا أقل فائدة من ذلك النوع الآخر من تلك المستشفيات أي المتنقلة وهي مع ذلك قليلة العدد واذا تحسنت الحال بها طالما أقامت فانها اذا رحلت عاد المرض فاحتل الأبدان والاجسام

ومن عجب انه مع ظهور هذه الحقائق ولمس السلطات المسئولة لها من سنوات عديدة لم تبذل إلا مساعٍ يسيرة لاتباع خطط أخرى أو تجربتها. من ذلك ما جرب من انشاء مستشفيات قروية رفضها البرلمان فيما بعد لكثرة نفقات انشائها وعدم استكمال فائدتها. ومثل انشاء وحدات صحية شاملة لها برنامج جميل على الورق ولكنه غير منفذ فعلاً. كما انه يقصد بها خدمة ٣٠ ألفاً من السكان وهو أكثر مما يطيقه طبيب لكثرة المرضى فيهم

كما أن السلطات لم تتعب نفسها قبلاً كي تعرف ما هو متبع في الممالك الزراعية الاجنبية الشبيهة بمصر والتي نجحت نجاحاً بارزاً في رفع المستوى الصحي بين فلاحها في بضعة سنين. يقال في الأمثال أنه إذا لم يتحرك الحبل الى أبي الطيب فان ابا الطيب يتحرك اليه. وعلى هدى هذه الحكمة يجب أن تكون سياستنا العلاجية الريفية

فالريف المصري أو اقليمه على الاقل لا يمكن لسكانه الاستفادة من المنشآت أو الخدمات المنظمة في عواصم المديرية بنادر المراكز. ولذا يجب تقسيمه وحدات او مجموعات أو مراكز جديدة تختلف كثيراً عن نظام المديرية والمراكز الكبيرة الحالي الذي ورثناه من القرن الماضي مراكز صغيرة لا يتعدى سكانها العشرة آلاف نسمة ولا يتعدى قطرها بضعة كيلو مترات قليلة تشبه تلك المراكز التي انشأها الممالك الزراعية الأخرى والتي لا يزيد سكانها عن خمسة او ستة آلاف وقطرها عن بضعة كيلو مترات قليلة

هذه المراكز او الوحدات او المجموعات القروية الصغيرة الجديدة يجب اعتبارها في منزلة الحلية من جسم الامة. وفي هذه الحلية ومنها يجب أن يبدأ الإصلاح الحقيقي لهذه البلاد



اصلاح لا يتناول الفلاحين والفلاحات الحاليين فحسب بل يتناول كذلك أطفال الفلاحين أي الجيل الجديد الذي هو أمة الغد المرجو المأمول

فاذا اقتنعت السلطات بضرورة هذا التقسيم الجديد للاصلاح الصحي والاجتماعي في الريف متشجعة في ذلك بنجاحه في كثير من الامم الزراعية الاخرى كان في الوسع تدبير شئون العلاج للفلاحين رويداً بطريقة ناجحة ومناسبة لهم. بل كان في الوسع كذلك في بضع عشرات من السنين تدبير شئون الوقاية الصحية وادخال الخدمات الاجتماعية والاقتصادية في الريف عامة بطريقة أنجح وأنجع. لارهاق فيها للموظفين الفنيين ولا للجمهور الفلاحين

وفي كل من تلك المراكز أو المجموعات الصغيرة يجب أن تتمثل الخدمات الفنية اللازمة للفلاح. فن الوجهة الطبية ينشأ مركز صحي دائم يتكوّن من طبيب مقيم متمرن على أمراض الفلاحين الهامة وهي لا تزيد عن عشرة أمراض. وعلى شئون الوقاية الطبية من الأمراض المعدية وشئون الدعاية الصحية تساعد دائرة صحية لتوليد النساء ورعاية الأطفال. يجاورها حمام صغير بسيط به خمس فوهات رشاشة أو ست لنظافة الرجال والنساء والاطفال. وبضع أسرة لاقامة الوالدات

ولا أقصد بالانشاء ان نقيم بناء فخماً لتلك المراكز الصحية يقتضي الكثير من المال وانما يكفي تأجير أية دار في القرية كما فعلت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية في قريتي المنايل وشطانوف يمكن بقليل من المال ولوعلى نفقة السكان تهيتها لتكون مركزاً صحياً مناسباً للريف. ويسهل بعد ذلك ربط هذه الوحدات الصحية بسيارات نقالة في المستشفيات لنقل المحتاجين الى عمليات جراحية أو فحص طبي خاص بالأشعة أو سواها او عناية خاصة في العيادات الداخلية كما يمكن الاكتفاء بذلك الطبيب عن انشاء مستشفيات متنقلة لعلاج الأمراض المتوطنة وكذلك الرمد مع امداده بأخصائي في العيون مرة في الأسبوع او الشهر لمساعدته وارشاده

واذا كنت أورد هذه الحطة اللازمة بصفة أساسية للخدمة العلاجية في الريف فليس ذلك نتيجة التخيل أو التوهم بل لقد كان لي الحظ في مشاهدة عشرات منها بنفسي في ممالك مختلفة بل لقد كان لي الحظ في مشاركة بعض أطبائها العمل وكذلك المبيت في بعضها أثناء تجوالي

ثم كلمة مختصرة بقدر الامكان عن ذلك الجانب الآخر العويص من المشكلة الصحية الريفية وهو مشكلة الوقاية العامة. وصعوبة الأمر في هذا الجانب انه يتطلب مالاً وجهداً غير قليلين. فاذا كانت الوحدات او المراكز الصحية التي سبق ذكرها تحتاج الى مال غير قليل بحيث لا يمكن تعميمها إلا في مدى عشر سنوات او خمس عشرة سنة، فان التحسين الصحي العام في الريف سيحتاج في اتمامه كاملاً او شبه كامل الى مدة أطول ومال أكثر. كما انه يحتاج الى تعديل



بعض المشروعات المقيمة لتحقيقه في الوقت الحاضر وهي المشروعات التي دلت الدلائل على عقمها أو بطلانها أو عدم ملاءمتها لأحوال الفلاح وعاداته ولتأخذ مثلاً تلك المشكلات الرئيسية وهي امداد الفلاحين بمياه الشرب النقية . وردم البرك والمستنقعات ومشكلة انشاء المساكن الصحية

أما مياه الشرب فإنا اذا استبعدنا مديرية الفيوم وكذلك الخمسين كيلو متراً الشمالية من الدلتا وهي المناطق التي لا يمكن فيها استعمال الآبار الملوحة بمياه الجوفية وبصعب في بعض جهاتها الشمالية توفير مقدار كافٍ من مياه النيل أياماً عديدة لوجودها على أطراف الترع، فإنا نجد في الامكان حل هذه المشكلة بصفة مؤقتة على الأقل . بل ربما كان ذلك بصفة دائمة، بامداد الجهات الباقية من القطر وهي ثلاثة أرباع القرى والعزب كافة أي ما لا يقل عن ثلاثة آلاف قرية و ١٥٠ ألف عربة بمياه جيدة نقية على أهون سبيل وذلك بواسطة حفر آبار عميقة تتراوح نقية كل منها ما بين ٣٠ — ٣٠٠ جنيناً

وهذه الآبار لن تكلف الدولة في الغالب أكثر من مليون من الجنيهات يمكن صرفها في غضون أربعة أو خمس سنوات بدلاً من الانتظار سنوات لانهاية لها حتى تتمكن الخزانة العامة من تدبير خمسة وعشرين مليوناً لإنشاء تلك العمليات الكبرى المزمع تعميمها في كافة أنحاء القطر والتي تكلف كل منها ثلاثة أرباع مليون من الجنيهات وتحتوي على معدات فاخرة من أوروبا أو أميركا لتنقية مياه النيل وما لا يقل عن خمسمائة كيلو متر من المواسير وعشرات الخزانات الكبرى والصغرى فوق الأرض وتحتها، بخلاف نفقات الادارة والصيانة الطائلة

نعم ان كل مصري فلاحاً كان أو متحضرأ يفضل مياه النيل لشربه كما يفضلها لري أرضه وحيوانه . ولكنه ما دامت تلك المياه هي لسوء الحظ في غالب الأحيان مياهاً ملوثة كربة المنظر مليئة بالمواد المعلقة والميكروبات وتحتاج في تنقيتها الى عمليات كيميائية وميكانيكية غالية الثمن والتكاليف فان انشاء الآبار يجب ان يكون كما ذكرت الحل المؤقت بل ربما الدائم لهذه المشكلة الوقائية الأساسية كما هو متبع فعلاً في مدن كثيرة في الوجه القبلي وكذلك في النصف الجنوبي من الوجه البحري . بل كما هو متبع في عشرات من الممالك الأخرى . ضاربين صفحاً عن عمر تلك المياه أحياناً أي زيادة استهلاكها للصوابون بالقياس الى المياه النيلية وهو ما لا يقاس ضرره بتأناً بفائدة كونها مياهاً نقية من الوجهة البكتريولوجية ورخصة في الوقت ذاته

أما مشكلة ردم البرك والمستنقعات — وهناك منها ما مساحته زهاء عشرة آلاف فدان ملكاً للحكومة ذاتها بخلاف ما يملكه الأهالي — فقد طال الزمن وسيطول كذلك في التخلص منها ومن رداءة منظرها وما تؤدي اليه من توالد البعوض والعدوى بالمalaria وأمراض أخرى مازلتنا



مقيمين على طريقتنا الحالية أي ردم ما تملكه الحكومة على نفقتها والاعتماد على قانون معقد ضعيف لردم ما يملكه الأهالي بمعرفتهم . فها قد مضت خمس عشرة سنة منذ زيادة الاهتمام بالبرك والمستنقعات دون فائدة تذكر . بل ان تلك المياه الآسنة قد زادت في تلك المدة بين القرى وحوالها بفضل التدكؤ في تعميم مشروعات الصرف الزراعية

ولعل أسهل السبل لحل هذه المشكلة في سنوات قليلة هو ان توهب برك الحكومة على الأقل الى القرى أو مجالسها القروية مع الزام السكان أنفسهم بردمها في سنتين أو ثلاث مستعملين في ذلك الردم المرتفعات الكثيرة التي يراها الانسان في شوارع القرى وكذلك اراضي الجبانات القديمة الكثيرة بعد جمع العظام منها وكذلك مستعملين الأتربة التي تنتج سنوياً من تطهير الترع والمصارف . والأتربة التي يمكن قشطها من سطح الحقول العالية وغير ذلك من مواد الردم الأخرى

\* \* \*

ان الالتزام في ملافاة مثل هذه العيوب الصحية الكثيرة الصور لا يحمل في الحقيقة معنى التحكم والظلم والجبروت اذ انه من جهة الزام مؤقت غير دائم كما انه الزام له اجرته المالية . اذ ستنتفع القرى بما يجيء من بيع البرك بعد ردمها بصفتها ارضاً قريبة من المساكن صالحة للعباني او ما يتحصل من ايجارها كارض زراعية . فيمكن للقرى ادخال خدمات عامة أو اقامة منشآت صحية أو تعليمية أو اجتماعية . أي انه الزام كله خير وبركة

وان لنا فيما كان متبعاً من الزام القرويين بحراسة جسور النيل اثناء فيضاناته العالية لعبرة وعظة . فان تلك الطريقة مع مساوئها كانت الطريقة الوحيدة لانقاذ البلاد عشرات او مئات السنين من ذلك الخطر حتى امكن رويداً الاتفاق على رفع مستوى الجسور فأمكن من بضع سنين تحرير القرويين من تلك الخدمة الوطنية الشاقة التي لا يقاس بها تسكينهم ردم برك قراهم في فترات فراغهم من الأعمال الزراعية ذلك الردم المفيد لهم انفسهم من الوجهتين الصحية والمالية

فالاصلاح الصحي وكذلك غيره من شئون الاصلاح هو في الحقيقة سلعة تشتري بالمال . ولا يمكن للمصلحين أن يصلوا الى اهدافهم بقوة الحكومة أو أموالها وحدها بل يجب ان يتعاون معها الاهالي وخاصة اولئك الذين يراد لهم النفع والخير

ويكتفي دليلاً على ذلك ما نراه في الممالك الاوربية التي بلغت الدرجة العظمى من التمدن والرفق اذ تكلف كل شخص في الدولة ان يقوم بخدمة مجانية لوطنه في أوقات فراغه فتستخدمه



أحياناً في الاجازات بعيداً عن بلده في انشاء طرق او مبان او خدمة مرضى او غير ذلك من الخدمات التي تعود على المجتمع عامة بالفائدة

أما مشكلة المساكن القروية . فيجب أن نطرح من أذهاننا امكان حلها في الوقت الحاضر . وأن نروض أنفسنا على الانتظار عشرين أو ثلاثين سنة أخرى للبدء في معالجتها بصفة جدية أي انتظار ذلك الحيل الجديد من القرويين الذي سيرفع اقتصادياً وثقافياً وصحياً في تلك المدة بفضل ما نأمل من ولادة الأمور ادخاله من إصلاح في غضون ذلك الزمن

فان الدار بالسكان قبل ان تكون بالحيطان . ومسئولية اقامتها موزعة قسمين . قسم ارشاد ومعونة يسيرة تقدمها الحكومة . وقسم مقدرة مالية للانشاء يقع على عاتق صاحب الدار . فاذا كان الأول ممكناً الآن فان الآخر يكاد يكون في حيز المستحيل

وليس في مقدورنا اليوم الا الصبر على قرانا القذرة الرديئة المنظر المزدهمة بسكانها وغيوبها الصحية فهي ظاهرة من نتائج الفقر وصورة من صورهِ العديدة مكثفين في العشرين أو الثلاثين سنة القادمة بادخال ما يتيسر إدخاله من عادات النظافة المنزلية أو أي اصلاح آخر لا يكلف نفقة ينوء بها حمل ذلك الساكن الفقير

وانه ليحضرني في هذا الصدد مثل مفيد لما يمكن ان يجول في ذهن المصلحين من الامور التي تعتبر بسيطة في ظاهرها ولكنها توجد معقدة متعبة في حلها . ففلا حنا المصري مشهور بميله في منزله الى سد النوافذ اي تلك السكوات الصغيرة العالية المسماة نوافذ . كما انه مشهور بميله الى انشاء أفرانه وابواب حيواناته داخل الغرفة التي فيها يقيم وينام

وقد يظن البعض ان منشأ هذه العادات الصحية السيئة هو مجرد الجهل وظلام التفكير . بينما هي في الحقيقة ترجع الى الفقر اكثر مما ترجع الى الجهل . نرجع الى حاجة الفلاح الى الملابس والغطاء اللذين يدفئانه ويحفظانه شتاء . كما نرجع الى حرصه على بقاء بهيمته تحت انظاره وخشيته من النوافذ الكبيرة التي تخدش حرمة منزله وتعرضه لأذى أعدائه . وهكذا اذا أردنا ان ننشئ اليوم قرى جديدة للفلاحين فيجب إذن ألا ننسى تموينهم معاً بالملاسل والدُّر ( البطاطين )

\*\*\*

ان مجال الاصلاح الصحي الوقائي في الريف لا يشمل هذه المشا كل الرئيسية وحدها أي مياه الشرب وردم البرك وانشاء المساكن الصحية . بل يشمل كذلك اموراً عديدة أخرى أقل مشقة وكلفة منها



ولما كان وقتنا غير مؤات للتوسع في وصفها فاني أجتزئ في ختام محاضرتي بذكر ما أراه منها أعظم شأنًا وأوفى بغرض الإصلاح

فالريف المصري محتاج بصفة دائمة الى هيئات محلية تعنى بالشؤون الصحية البسيطة كنظافة المنازل والقرى وتجميلها وردم البرك وإبعاد أكوام القمامة ومكافحة الحرائق وما الى ذلك . أي أنه محتاج الى تعميم المجالس القروية على إن تعطى تلك المجالس حق تحصيل نسبة معينة من الضرائب للصرف على أغراضها البسيطة تحت إشراف وإرشاد الأطباء والمعاونين الصحيين الذين يجب الاكثر منهم للقضاء بصفة نهائية على ذلك النظام الفاسد نظام الحلاقين الصحيين كما ستقضي الآثارات الصحية على نظام الدايات الجاهلات المؤذيات

وهو محتاج الى تجارب عديدة يشترك فيها الأطباء والمهندسين الصحيون لا ابتداع أنواع صحية رخيصة من المراحيض القروية تمنع أخطار التبرز في الحلاء ولا تحرم الفلاح في الوقت نفسه من تلك المواد الانسانية التي يعتبرها ثروة سمادية عظيمة لأرضه

والريف محتاج كذلك الى سرعة تنفيذ مشروعات الصرف ليس لفائدة الزراعة فحسب بل كذلك لمنع نشوء برك جديدة ولتقليل تصاعد الرطوبة في جدران المباني مما يدعو لأمراض عديدة . كما انه محتاج الى مراجعة مشروعات الري لمنع شق الترع داخل القرى أو بجوارها لمنع البرك كذلك ولتقليل تلويث مجاري المياه بالبول والبراز مما يدعو لانتشار البلهارسيا وسواها من الأمراض

وهو محتاج الى مراجعة السياسة الزراعية لحصر وزراعة الأرز في المناطق الشمالية الباردة أي منها في المناطق الدافئة الوسطى والجنوبية التي يزداد فيها توالد البعوض وبالتالي انتشار الملاريا الى درجة كبيرة

وسكان الريف محتاجون في النهاية الى دعاية صحية رشيدة مستديمة مدعمة بالآيات والأحاديث والحكم والأمثال التي هي لحسن الحظ مليئة بالحض على منع تلويث المياه والنظافة وببذ الخزعبلات والتقاليد الضارة

هذه هي نبذة موجزة غير كاملة من العبء الذي نحمله نحن أبناء الفلاحين نحو انهاضهم وإصلاح أحوالهم

\*\*\*

وأشكر لوزارة الشؤون الاجتماعية لأنها أتاحت لي فرصة القائها . كما أشكر لكم مشقة حضوركم لاستماعها داعياً الله ان يحقق رجاءنا جميعاً في الوصول الى ذلك الغرض النبيل



# مصر والقوة البحرية

عند ما بنت اسطولها في الاسكندرية

صفحة مجيدة من تاريخ محمد علي



[عني حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عمر طوسون منذ عهد بعيد باظهار ما خفي من تاريخ مصر في عهد مجددها الأكبر محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية الكريمة . ولم تقتصر بحوثه على ناحية بعينها من نواحي تلك النهضة الكبيرة بل شملت نواحي متعددة علمية وعمرانية وحرية . وما وجه جهده اليه كتابة تاريخ البعثات العلمية في عهد محمد علي ، تلك البعثات التي تعتبر بحق أول عودة لاتصال مصر بالثقافات الانسانية العليا بعد عهد المماليك وعهد نابليون . وكان آخر ما اتجهت اليه عنايته الموفقة اخراج كتاب ضخم في ٢٤٩ صفحة عدا ٧٢ صفحة من الفهارس في « تاريخ مصر في عهد محمد علي — الجيش المصري البري والبحري » أحاط فيه بتفصيل النهضة الحربية في عهد جده العظيم استناداً الى ما كتبه الثقات في ذلك العهد . وفي ما يلي جانب من فصل عن دار الصناعة البحرية بالاسكندرية اسنده كتاب سمو الأمير الى كلوت بك : المقتطف]

شعر محمد علي بحاجته الى دار صناعة بحرية حرية بهذا الاسم منذ اشتبك مع الدولة في حرب الشام ورأى نفسه هدفاً فيها للغارات البحرية حيث كانت تعترض بناء سفنه في ثغور اوربا في ذلك الحين عقبات تدعو الى الإبطاء في صنعها وإرسالها اليه ، وظهر له في أثناء ذلك همة دي سريري بما أنجزه من المنشآت البحرية التي أوصى عليها محمد علي بفتح مرسيليا فعقد النية على إنشاء دار صناعة في مصر وطلب من الحكومة الفرنسية أن تعينه على هذا العمل العظيم باشخاص المسيو دي سريري اليه ليتولاه له

وقد كان التي في روع محمد علي استحالة دخول السفن الحربية الكبرى ميناء الاسكندرية وفضلاً عن ذلك فانه تحقق شخصياً قلة جدوى الآلات البحرية التي لديه وعدم غناء العمال اللازمين لمختلف الصنائع عنده فجعله ذلك لا يفكر في إنشاء السفن الكبيرة التي من نوع القباقي ولذا كانت طلباته من قبل للسفن الحربية من الخارج قائمة على هذه الفكرة ولكن لما حضر المسيو



دي سريري وأطلعه على أفكاره في هذا الشأن اقتنع بأرائه وانضم بكلية اليه ومنذ ذلك الحين رغب في ان يكون حائزاً لأضخم السفن الحربية واستدعت الحال التفكير في انشاء دار صناعة عظمى وبينما كانت تجهز الأدوات اللازمة بأوربا للقيام بهذا العمل في مصر كان مسيو دي سريري منهمكاً في فحص أرض الشاطئ لاختيار أكثر المواضع صلاحية للترسانة المزمع تشييدها فوجد على شاطئ مريوط العمق اللازم من الماء غير انه وجد هذا الشاطئ عرضة لهجمات الأمواج عند ثوران البحر ورأى إقامة الترسانة عليه تستدعي إقامة حاجز يصد عنه هجمات الأمواج ومع هذا فقد شرعت الجنود تمهد أرض هذا الشاطئ المسكون من حجر جيري رخو لا يجاد المنحدر اللازم لمد المنشآت البحرية عليه وأخذوا أيضاً في استخراج الأحجار اللازمة للبناء وكان كل هذا يبشر بالمضي في تنفيذ العمل الذي اقتضته الضرورة للحصول على السفن في أقرب وقت إلا أن المسيو دي سريري كان لا يزال غير مرتاح الى هذا الموضع وكان لا يزال دائماً في البحث عن محل آخر أصلح للبناء فرأى الشاطئ المعد لصنع الفلاثك في الاسكندرية في ذلك الحين في مأمن من هبوب الرياح وارتظام الأمواج ولكن كان عمق الماء فيه غير كاف ففكر في حفر الأرض وتعميقها فوجد الصخور على عمق ثلاثين قدماً تحت الماء وانه من الممكن رفع الرمل الذي فوقها بواسطة الآلات فوطد العزم على تشييد دار الصناعة بهذا المكان وعدل عن شاطئ مريوط عدولاً تاماً وبدأ بلا إبطاء ولا مهل يخطط مواضع الورش والمحال التي تتحقق بوجودها مشروعات ولي الأمر العظيمة

واستطاع في يوم ٩ يونيه من سنة ١٨٢٩ م أن يقدم إليه مشروع عمله فلم يلبث أن نال لديه القبول التام وبعد ذلك بساعة واحدة كانت ألوف الجند تشتغل بحفر أساس المباني والآلات الرافعة تستخرج الرمال من أرض الشاطئ والرجال تضع الأوتاد لبناء الأرصفة والاحواض وكان ولي الأمر قد أنفذ أوامره الى مختلف المديريات بجميع الشبان الذين فيهم الاهلية للانخراط في سلك البحرية فأرسلوا الى الاسكندرية تبعاً وعند ما تكامل عددهم أخذ في تقسيمهم الى فئات ووزعوا على الصنائع البحرية من النجارة والحدادة والجلفطة والهندسة الميكانيكية والتخريم والنجارة الدقيقة وصنع الحبال والبكرات وما شاكل ذلك ولما بدى في تعليمهم انتخب من كل فريق منهم من امتاز بالنشاط والذكاء فجعلوا أومباشية وجوابشية وضباطاً عليهم

واتنا نعد هذا الصنيع من المسيو دي سريري اعظم خدمة أداها لولي النعم وقد دفعته ميوله من قبل الى تعلم استخدام الآلات في مختلف الصنائع وكان ذلك سبباً في اضطلاعهم بتدريب العمال بنفسه على ممارسة الصنائع التي انخرطوا في سلكها وبهذا اقترنت بناية المئات



بصنع الآلات وتعليم الصنائع المصريين وسارت هذه الأمور جنباً إلى جنب في وقت واحد وفي ٣ يناير سنة ١٨٣٩م أنزلت سفينة عليها مائة مدفع إلى البحر ومن هذا الوقت انحلت مشكلة البحرية المصرية وأصبح هذا الحلم أمراً واقعاً محسوساً ولكن كان لا يزال باقياً أن يقيم المسيو دي سريزي البراهين على عظم خطأ الرأي الأوربي القائل أن المراكب التي تحمل أربعة وسبعين مدفعاً لا تستطيع عبور بوغاز الاسكندرية

وقد كان المسيو دي سريزي هدفاً لسهام النقد فلما تم صنع هذه السفينة أتهم من جديد بأنه خدع ولي الأمر وعبت بما أولاه من الثقة وكفر بما أعقد عليه من النعم فلم يبال بذلك وعكف على تسليح هذه السفينة وبعد ذلك بزمان قليل خرج بها إلى عرض البحر فأصبحت مسألة عبور السفن الكبيرة بوغاز الاسكندرية في حكم الشيء المعترف به ومنذ هذا الحين صار موضع إعجاب ولي الأمر وثقته التامة ولأجل أن يظهر مقدار ثقته به وسروره من عمله منحه سلطة لا حد لها فازدادت مطامحه وتوجه بكليته إلى القيام بعمل عظيم يصيرُه أهلاً للحجة محمد علي فصرف كل مواهبه في تنسيق البحرية المصرية وتنظيمها

وكان أمامه كثير من العراقيل يتحتم عليه تذليلها فقدمه إلى الاسكندرية أفسد على عدد كبير من محال التجارة التي كانت تحمي أرباحاً طائلة ما كانت تؤمله من اضعاف هذه الأرباح في أثمان السفن التي ستدعو حاجة محمد علي إلى ابتاعها منهم على سنن ما حصل في الماضي بدون أدنى تدقيق في قيمتها أو صلاحيتها. فأذاعوا عنه اذاعات السوء ووصموه بكل ما يشينه وأوسعوه سباً وشتماً وهاجموه من كل ناحية وصوب ولم يكتفوا بذلك بل أضرموه نار الثورة والعصيان بين العمال الأجانب الذين يدبرون مختلف الصنائع ويدربون المصريين فاختل نظام الورش مراراً ودبروا المكاييد عند أنزال السفينة الثانية فقطعت حبال الارتكاز وكان الغرض من ذلك القضاء عليها واستمر العمال المالطيون والليثوريون يحضون العمال الطولونيين الذين احضرهم المسيو دي سريزي في السنة الثانية من تعيينه بدار الصناعة المصرية على العصيان والتمرّد لغاية في أنفسهم هي أن يكونوا وحدهم على رأس كل عمل. فكل هذه العراقيل لم تقف في عضده بل قابلها بارادته الحديدية وثباته العجيب وأحبطها الواحدة تلو الاخرى وساعده على ذلك أن ولي الأمر صمّ آذانه ولم يصنع لسعايات أخصامه ولم يعر التفاته إلا لعمله الذي كان يتدرج في معارج السكمال بهمة ونشاطه

وأنه لمن الصعب أن تأتي على جميع العراقيل التي اعترضت هذا المهندس الفرنسي العلامة وكافحها كفاحاً متوالياً بدون ملل ابتغاء إتمام مشاريعه العظيمة التي كان يحلم بأنها ستكون يوماً ما حقيقة راهنة وأن مصر ستبلغ بها ذرى النجاح



فقد اضطر في أول الامر أن يستخدم عدداً كبيراً من الأوربيين حتى يحقق أمنية الباشا الذي كان يريد أن تكون له عمارة بحرية عظيمة في أقرب وقت فاقتضى الامر أن يراقب بكل يقظة وانتباه صفار الأمور وكبارها وأن يسرع الى تلافي كل ما يحدث من الخلل ويطنى يومياً نار الثورات التي كان يشب أوارها ويضرب على أيدي السارقين ويكبح جماح المتعربين ويصلح الأعلاط التي كان لابد من وقوعها في هذا العمل السريع . وبالجملة فقد كان عليه أن يسهر على كل أمر ويرقب جميع الاشياء ويوفق بين الميول المتناقضة ويقبض بيد من حديد على زمام الأهواء الجاحمة ويعمل من جهة أخرى على تخفيف هذه الاعباء وتدريب المصريين على مختلف الأعمال فهد له ذلك شيئاً فشيئاً الاستثناء عن أكثر الأوربيين المشاغين وأوصله ذلك أخيراً الى قيام المصريين بنجاز سائر الأعمال حتى لم تبق له حاجة الا الى فئة قليلة من المعلمين الفرنسيين الذين دعت الضرورة الى استبقائهم للإشراف على العمل ولولا سلسلة قيادة المصريين ودمائة أخلاقهم وما فطروا عليه من الذكاء وسرعة الخاطر مع الجهد لما وصل المسير دي سريري الى هذه البقعة

مباني دار الصناعة — أنشئت دار الصناعة على شاطئ رملي مقفر فقضت الحاجة ان يشاد عليه من جديد كل شيء تدعو اليه ضرورة العمل فبنيت به اربع مصاطب كبيرة ممتدة من الساحل الى داخل البحر لتشاد عليها السفن الكبيرة التي من الصنف الأول ( القباقي ) وثلاث مصاطب أخرى لبناء السفن التي من أنواع الفرقاطة والقروبت والغولت والسكرور وغيرها . وشيد بناء كبير ليكون مخزناً عاماً للذخائر البحرية ومصنع للجمال وعدد صنعا ومصانع اخرى لازابة المعادن والحدادة والخراطة والنشر والميكانيكا والسباكة واللحام ( السمكرية ) وصنع الرصاص والزجاج والآلات البحرية والبكر والأشرعة والبراميل ومصانع لبناء القوارب والزوارق ولصنع آلات رفع الأثقال وعجلات النقل والسكانات ( الدقات ) وهو لحفظ نماذج رسوم تصميمات أنواع السفن . والأدوات التي تستعمل في تسليحها لتعليم الضباط وسفائف لجن الأخشاب ولحفظ آلات تنظيف السفن وأدوات ترميم القسم الغاطس منها في الماء وتنظيف أضلاعها وقاعها الخ وقد أقيم في رشيد مصنع نسج أقمشة الأشرعة ومصانع اخرى لأنواع الحدادة كي يلجأ اليها عند مسيس الحاجة في الطلبات المستعجلة كما قد أقيم في القاهرة ايضاً مصانع من هذا القبيل تشغل ايضاً بهذا الغرض .

ولكيلا يجتمع الصنائع جميعها في بلد واحد درّب المسيو دي سريري فريقاً من المصريين على صناعة جبال السفن ثم بعث بهم الى قرأهم ليقوموا بهذا العمل فيها وليس ذلك حاجة المراكب الى الأوامر بتوفر الصنائع على عملها في مختلف البلدان



# تحديد أغراض الجمع

مسايرة اللغة العربية للحياة الحديثة

للدكتور محمد حسين هيكل باشا  
وزير المعارف

[ التقي معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا خطبة نفيسة في حفلة افتتاح الدورة الحالية لجمع فؤاد الأول للغة العربية استهلتها بتوجيه الشكر الى معالي رئيس الجمع لدعوته اياه لالقاء كلمة في الحفلة ثم شكر للرئيس والاعضاء ترحيبهم بالاعضاء الجدد — والدكتور هيكل احدهم — ونوه بمجهود الجمع الكبير قبل انضمامه وزملائه الجدد اليه وذكر الذي قضوا اجلهم من أعضائه بالخير وطلب لهم من الله مثوبة ومغفرة . ثم قال معالجاً موضوع اغراض الجمع : — ]  
وليس ينقص من قدر هذا المجهود الكبير أنه ما يزال في بدايته . أو أن لي أو لغيري بعض ملاحظات عليه يراد بها مزيد من دقة التوجيه الى الغرض المنشود حيناً ، وتبلغ حد النقد في بعض الاحيان . فالغرض العظيم الذي انشأ الجمع لتحقيقه ، والعمل الجسيم الذي لا بد منه لبلوغ هذا الغرض يحتاجان الى كثير من الاناة والروية ، والى زمن لا تعد السنين شيئاً مذكوراً فيه . لقد قضى الجمع الفرنسي منذ انشاء ريشليو عشرات السنين قبل أن يضع معجمه الاول للغة الفرنسية . ومع هذه الاناة ، ومع ضخامة المجهود الذي بذل خلال هذه السنين الطويلة ، وجهت الى هذا المعجم الوان كثيرة من النقد كانت موضع اعتبار الجمع وتقديره أثناء مراجعته معجمه . ولا تزال لجنة المعجم في الجمع الفرنسي تراجع وتضيف اليه وتعديل فيه تبعاً للتطور اللغوي في تلك البلاد ، متوخية في عملها ان تحافظ على سلامة اللغة الفرنسية وعلى ملامتها لحاجات الحياة وتطورها ، مؤمنة دائماً بأن اللغة كائن حي متصل أوثق الاتصال بكل صور الحياة ، يسايرها في نمو ما ينمو وانقراض ما ينقرض وتطور ما يتطور . فالجمع الفرنسي ، ككل من درسوا اللغة ومارسوها يرى ان اللغة هي صورة الحياة في ادراك الذين يتكلمون هذه اللغة ، وانها لذلك مرآة تقدم هؤلاء القوم أو تأخرهم ، نشاطهم أو قعودهم ، قدرهم الصحيح لحقائق الحياة أو توهيمهم الباطل لهذه الحقائق

وكيف لانسان ان يغمط المجهود الذي قام به الجمع وقد اقر أكثر من أربعين قاعدة في اللغة تيسرها وتوسع اقيستها ، وتلينها للترجمة عن مستجدات المعاني ، وقد استخرج آلافاً



من المصطلحات في علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسي ، والقانون ، وتاريخ القرون الوسطى ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة ، وقد أقر طائفة جليلة من المسميات الحديثة في الشؤون العامة كأدوات المنازل وأثاثها ، وما تتناقله الألسن والأقلام في الأسواق والأندية والصحف ، وقد بدأ بوضع المعجمات التي تدعو إليها الحاجة ، وقد صحح من الأعلام الجغرافية في مصر وأفريقيا وآسيا عدداً عظيماً ، وقد نشرت مجلته بحثاً بجوئاً بلغت صفحاتها نحو ألف وخمسمائة . هذا وما إليه جدير بتقدير الناس جميعاً وثنائهم ، وإن وجهه الى بعضه من النقد ما قد يقره المجمع نفسه ، وما قد يدعوه الى ان يعدل عن شيء أقره الى ما يراه خيراً منه وأدنى الى تحقيق غايته

سادتي : لقد كان ما يتصل باللغة من شؤون التعليم مما وجهه اليه المجمع عناية مذكورة . وأنتم تقرأون في المذكرة التي وضعها المجمع بين أيديكم أنه وضع نصب عينيه أخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون ، وأنه قد وجه جل همه من هذه العناية الى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي ، وإن بين المعجمات التي يتوفر على وضعها معجماً علمياً صغيراً للتعليم الثانوي في الأقطار العربية ، وآخر تثبت فيه طوائف من المواد والألفاظ والصيغ تفني الطالب الثانوي والمتقرب الوسيط عن غيره من المعجمات ، وأنه وافى وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح لادخلها في كتب التعليم وفي التدريس

ولم يتم بعد وضع المعجمين اللذين أشرت اليهما ليقبني ابداء الرأي فيهما . وقد سألت وزارة المعارف عما وافتها به ادارة المجمع فعلمت ان هذه المصطلحات لما تعرض على رجالها ، وإن تجارب الطبع لهذه المصطلحات لا تزال حبيسة في المطبعة الأميرية منذ سنة ١٩٣٩ . وقد أرسلت الى ادارة المجمع من أيام هذه المصطلحات فعرضتها على الفنيين من رجال الوزارة فأقرروا طائفة مما أطلعوا عليه ولم يقرروا طائفة أخرى . ثم انني ألقيت على هذه المصطلحات نظرة محبلى ألهمتني ما أريد ان أتحدث اليكم اليوم فيه

جاء في المذكرة التي وضعها المجمع بين أيدينا تمهيداً لهذه الجلسة ان من يرسم آثار المجمع ( لا برتاب في أنه ، في تشدده في المحافظة على لغة العرب ، وبعث ما لا عهد للجهمرة به من قديمها ومحفوها مما يقع عندها موقع الغرابة او ما هو أشد من الغرابة في أول الأمر ، فأنه من ناحية أخرى لا يفتأ يترخص أعظم الترخص ، ويسر أبلغ التيسير . على ان ترخصه هذا وتيسيره إنما يقمان في حدود اللغة ، وما مضى من مذاهب علمائها الأعلام ، فلا سيادة لعامية ، ولا طغيان للعجمي على لغة الكتاب )

هذه الفقرة من مذكرة المجمع قد جلت أمامي كثيراً مما رأيته في المصطلحات التي اطلمت عليها ، وفي المسميات التي وضعها المجمع لحاجات الحياة المتداولة . فهو قد أثر ان يبعث من تراث



اللغة المهجور ما رآه معادلاً لهذه المسميات والمصطلحات . ولا أخالي خطأ في هذا التصور وقد وضع المجمع منذ سنوات جوائز مختلفة لمن يضعون طوائف من الكلمات العربية الفصيحة للمسميات الحديثة والمصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، ثم نبه الذين يتقدمون لهذه الجوائز أنه يفضل عند التسمية ما وضعه القدماء من الكلمات الصحيحة ثم هجر وتوسى ، واستعمل بدلاً منه ألفاظ مولدة حديثة ، أو عامية ، أو أعجمية . فإن لم يعثر على شيء من ذلك وضعت الكلمة وضعاً جديداً بطريقة من طرق الوضع القياسية

لست أتردد في الموافقة على هذه الخطة في أمر المصطلحات العلمية كلها وجد اللفظ العربي القديم الذي يؤدي الغرض من هذا المصطلح أداءً دقيقاً يقره المتخصصون من العلماء . وليلي لا أتردد كذلك في الموافقة عليها إذا استعمل لفظ أجنبي للتعبير عن معنى قديم كان العرب يعبرون عنه بلفظ عربي . لكنني أقف متردداً ، وبطول تردددي ، فيما خلا هاتين الصورتين ، وفيما يوضع من المسميات لحاجات الحياة المتداولة . ولا أحسبني دون ذلك تردداً في أمر الألفاظ العامة إذا أمكن تقويمها لتسترد صورتها العربية الصحيحة

أيها السادة : إن الغرض الأساسي من انشاء هذا المجمع إنما هو جعل اللغة العربية ملائمة لحاجات الحياة في عصرنا مع المحافظة على سلامتها . هذا الغرض يتضح جلياً في المذكرة التي وضعها المجمع اليوم بين أيدينا . فكل ما بذل من جهود الأفراد والجماعات في أمر اللغة من عهد محمد علي الكبير إلى اليوم قد توخى هذا الغرض . وقد سجل مرسوم انشاء المجمع هذا الغرض في المادة الثانية منه تسجيلاً صريحاً . ولكي تلائم اللغة حاجات الحياة في عصر من العصور يجب أن تكون صورة صادقة لكل ما تتناوله الحياة في هذا العصر ، ويجب أن تكون سليقة للمتكلمين بها والكاثرين لها ، ويجب أن تكون بذلك أداة التفاهم بين هؤلاء جميعاً تفاهماً يتم في غير عسر ولا مشقة ، ويجب لذلك أن يكون القدر المشترك منها بين الجميع ، من الصبي الناشئ إلى العالم الكبير ، ومن ربة البيت في أهلها إلى المتحدث في الفنون والعلوم والآداب — يجب أن يكون عظماً بحيث ييسر هذا التفاهم ويجعله في متناول الجميع ، فلا يقع خلاف بينهم فيه بسبب اللغة وألفاظها ، وإن أمكن أن يقع بسبب تفاوتهم في الثقافة . وكل جهد يبذل لزيادة القدر المشترك تيسيراً للتفاهم المتبادل ، بدني من الغرض الذي تنشأ مجامع اللغة لتحقيقه

إذا كان هذا صحيحاً ، وأعتقد أنا صحته ، وجب أن لا تنقيد في جعل لغتنا ملائمة لحاجات عصرنا بالحدود التي وضعت في عصر العباسيين أو في عصر الأمويين ، أو في الجاهلية لحاجات عصرهم . فإذا أردنا أن نضع معجماً يعني المثقف الوسيط ، وبغني الطالب الثانوي ، وجب مع محافظتنا على سلامة اللغة ، أن لا نهمل تطورها إلى حيث وصلنا اليوم ، ووجب أن



ندرس بمثابة هذا التطور في لغة الكتابة وفي لغة الكلام

لقد رأى العالم العربي في كل العصور ، الى عصرنا الحاضر ، خطباء اهتزت لبلاغتهم المنابر ، وحامين كانت مرافعاتهم مثلاً عالياً للبلاغة القضائية ، وكتاباً في الصحف وفي المجلات ومؤلفين قدروهم أهل هذه الامم أسمى التقدير . هذه الخطب ، وهذه المرافعات ، وهذه الكتابات على اختلاف أنواعها وعصورها ، تصور تطور اللغة ، فلا سبيل الى انكارها . وهذه الخطب والمرافعات والصحف والمجلات والكتب تحوي قدراً مشتركاً عظيماً جداً من الفاظ اللغة وتراكيبها ومن أساليبها التي تتفق مع تصور الناس للحياة في هذا العصر وأبنائنا في المدارس وجماهيرنا المثقفة تقريباً وسطاً تستمع الى هذه الخطب والمرافعات وتقرأ هذه الصحف والمجلات والكتب ، يشفق أكثر من شفقها حين تقرأ الكتب القديمة . أيقال مع هذا إن في هذه الخطب والمرافعات والصحف والكتب ألفاظاً عامية لا يجوز أن تكون في معجمات اللغة ؟ أم الحق أنا يجب علينا أن لانهمل هذه الثروة اللغوية الحية ، وأن نسجل منها كل ما يتفق مع ذوق العربية وأقيستها ، وأن ما نقوم به من ذلك هو الذي يجعل اللغة لغة الحياة تسير معها وتتطور بتطورها وأذهب الى أبعد من هذا . أن في اللهجات العامية للبلاد العربية المختلفة لقدراً عظيماً من الكلمات المشتركة ، والتي يمكن أن ترد الى أصل عربي دون حاجة الى أكثر من تقويمها بعض التقييم . هذه روعة ضخمة تقابل حاجات الحياة وتبرعنا أصدق تعبير . مع ذلك درجنا على التشكر لهذه الألفاظ والعبارات ، وعلى اعتبارها مبتذلة لا يجوز للمعجم الفصيح ، أو للكاتب البليغ ، أن يكتبها أو يتكلم بها . أما وقد انحدرت هذه الألفاظ الينا من العرب الاولين الذين نزحوا الى مصر والى غير مصر من البلاد العربية ، فلست أدري لم تكون مبتذلة ، ولم لاتدخل في معجمائنا ، وفي كتابتنا وخطابتنا ، وفي مصطلحاتنا المختلفة . السبب الوحيد في نظري هو أننا نريد أن تكون اللغة وفقاً على طائفة خاصة . وأن نكون لها من أجل ذلك أسرار تغيب عن الكافة كما أراد السكينة في عهد الفراعنة أن يجعلوا حقائق الدين سرّاً موقوفاً على طائفتهم . وان يدعوا للناس من الزيف ما يتزهدون هم عنه . وما يسخرون منه

أيها السادة : ان ما أطالب به الجمع من اقرار ما يجوز اقراره من هذه الألفاظ المتداولة في الكلام وفي الخطابة وفي الكتابة بعد رده الى حدود اللغة السليمة هو ما تقوم به مجامع اللغة في بلاد العالم أجمع . وهو ليس بدعاً في لغتنا العربية منذ عهدنا الاول . والمادة الثانية التي حددت أغراض مجتمعاتنا تطالبنا به . فهي قد نصت على أن يقوم الجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية . وأن ينظم دراسة علمية للجوانب العربية الحديثة . وهذان الامران يتصلان وأوثق الاتصال . فاللهجات الحديثة تشمل كما قدمت على قدر عظيم مشترك من الألفاظ والعبارات



العربية . كما أنه قد اندس إليها بحكم الحوادث التاريخية واختلاط الأمم العربية بشعوب أجنبية عدد عظيم من الألفاظ غير العربية . فالدراسة العلمية المقصودة هنا ، والتي تتفق مع مهمة المجمع ، لا بد أن يكون مرماها توحيد الألفاظ العربية في هذه اللهجات المختلفة بتحديد عاميًّا دقيقاً للاستفادة منها في وضع المعاجم التي نص عليها في أغراض المجمع . أما المعجم التاريخي فيجب أن يتناول تطور اللغة على العصور إلى وقتنا الحاضر . وأن تكون الألفاظ العربية السليمة التي يصطنعها الناس في أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم بعض هذا الذي يتناوله

أيها السادة : إن هذا الذي قدمت صحيح في نظري كل الصحة . واضح كل الوضوح . لذلك كان عجبى ولا يزال شديداً أن لا يفصل من تاريخ اللغة وآدابها في معاهدنا شيء فيما وراء العصر العباسي . ولم يدرس الأدب الحديث إلا من عهد قريب . وعلى نحو لا يزال بدائياً غير متصل بما سبقه من تاريخ الأدب واللغة . ولقد لاحظت منذ سنوات على المعجم التاريخي للدكتور فيشر ، وهو المعجم الذي يعنى المجمع بطبعه الآن ، أنه لا يتناول إلا العهد الأول من صدر الإسلام . وكنت قد فهمت يومئذ أن هذا المعجم سيضاف إليه ما يتم الغرض منه بتناول تاريخ اللغة إلى وقتنا الحاضر . ولا أظن أحداً يخالفني في أن ما دون من كتب الفقه والأدب والفن والعلم في العصور المختلفة يجب أن يكون بعض هذا التاريخ . ولا أظن أحداً كذلك يخالفني في أن الألفاظ العربية الأصل مما تتناوله لهجات الحديث تدخل في نطاق هذا التاريخ .

أيها السادة : انني أعتبر هذا العمل أساسياً لتلائم اللغة حاجات الحياة في العصر الحاضر فاللغة اليوم ملك مشاع للجميع . يقرؤها الناس في الصحف ، ويسمعونها في الإذاعة ، ويخطبهم بها الخطباء ، ويتلونونها في الكتب . لم تبق وفقاً على القارئ والكاتب من تتقنوا ثقافة لغوية عالية ، بل صارت أداة التفاهم في هذا العصر الكثير الحاجات والمطالب ، والذي يسر للناس من كل الطبقات أن يفقوا على السر من كل الشيء ، لا تختص فئة منهم دون الأخرى ، بما يزال الناس من علم وفن وأدب وصناعة وتجارة . فكما تيسرت اللغة للناس ، وكما شعر الطالب في دور العلم بأنها لا تقف عقبة في سبيل المعرفة التي يبتغي النهل من وردها كانت الاداة الصالحة للغرض الذي وجدت اللغات من أجله . بذلك يحب الناس اللغة ويرون جمالها في بساطتها ، وفي وضوحها ، وفي تكشفها غير محجوبة بحجب التعقيد الذي يحتاج إلى دراسة السنوات الطوال لحل رموزه وتبين أسرارها .

أيها السادة : هذا ما تيسر لي أن أحدثكم اليوم فيه : وهو بعض ما نطالب به في هذا المجمع لتيسير اللغة العربية حتى تفي بحاجات حياتنا ومطالبها . وقد أحييت على المجتمع مسألة الكتابة العربية وتيسيرها . وهذه مسألة جوهرية في نظري ونظر الكثيرين ، فلها يزيد الناس اقبالاً على القراءة وعلى اللغة ودراستها . وأرجو لذلك أن تنال ما هي جديرة به من البحث



# الرسيفات

BRADYPODIDÆ

التدييات إحدى آيات الخلق الحيواني البالغة . والرَّسيفات من أخص ما يدلك على ما في التدييات من آي الخلق . والرَّسيفات في عرف المواليديين فصيلة : Family من قبيلة Order تعرف في تصنيف الحيوان باسم الدَّرْدَاوَات : Edentata ، وهي طبقة من الطبقات العليا في تبويب ذوات الثدي . والمصطلح اللاتيني الدَّال على هذه القبيلة بمعنى « فاقد الأسنان » ، غير ان هذا الاصطلاح غير تام الدلالة على المقصود منه . ذلك بأن قليلاً من الحيوانات التي تشملها هذه القبيلة فاقد الأسنان فعلاً . ولكن المصطلح العربي أقرب إلى المقصود ، بل يؤدي المقصود تماماً . فالدَّرْد : ذهاب الاسنان ، وناقَة دَرْدَاء لحقت أسنانها بدَرْدَرها (القاموس ص ٢٩٢ : ١) ففيه المعنيان

ومن أجل أن يكون كلامنا عن الرسيفات يتسماً ينبغي لنا أن نعرف أن الدَّرْدَاوَات من التدييات المشيمية ، وعينها المواليدي « جل » بعشيرة سَمَّاهَا Ineducabilia ، وقد أطلقت عليها اسم « القَدَمِيَّات » وشملت من التدييات في اعتباره قبائل ثلاث هي الخفاشيات والقواضم والدَّرْدَاوَات . وتمتاز هذه العشيرة بصغر الدماغ ، بحيث يكون جزء كبير من الرُّنَج (الخنيخ) والأعصاب أو الفصوص الشَّمِيمِيَّة غير مغمشى بأجزاء الدماغ

وليس الكلام في الرسيفات بحديث في اللغة العربية فقد ذكرها غيري من الكَتَّاب ، وسميت من قبل « الكَسَّالان » للدلالة على الفرد الواحد من هذه الحيوانات . غير أني لم أجد في هذه المادة ما يدل على شيء من تأويل الاسم العلمي لهذه الفصيلة . فان الاسم العلمي مولد في اللاتينية وأصله من كلمة يونانية مركبة من لفظين : الأول معناه « بطيء ، وان » والثاني معناه « قدم » . ومعناه الحرفي « بطيء القدم » ، وتأويله « بطيء الخطو » . أما المصطلح العربي فمن الرَّسَف أي المشي في القيد ، وهو الرسيف (المخصص ١١١ : ٣) والرسيفات جمع مؤنث سالم من « رسيف » . وهي صيغة اخترتها للدلالة على الفَصِيلَة في تصنيف الحيوان ، فاذا



أردنا الفصيلة Subfamily قلنا الرّسيفية، وإذا أردنا الجنس قلنا «الرّسيف» ، فإذا أردنا النوع عيّناه بصفة فقلنا الرّسيف الأغبر أو الرّسيف المطوق وهكذا . واتباع هذا النمط ضروري في تصنيف الحيوان

\* \* \*

من الأنواع المثالية التي تتضمنها هذه الفصيلة نوع يعرف في اللسان العلمي باسم «الرّسيف الثلاثي الأصابع» *Bradypus tridactylus* ويعرف في مرايه باسم «الأي» : ai ، وقد أخذت صفته المبنية للنوع (اي الثلاثي الأصابع) من صفة عضوية فيه إذ أن له ثلاثة أصابع في كل من يديه ورجليه . ومن الصفات البينة فيه أن أسنانه راصفة أي أنها بارتفاع واحد ، فلا ترى فيها عوجاً ولا أمناً . ذلك في حين أن الطواحن أن ساوت الأسنان من حيث الرّصاف ، فإنك تجدها مكاسة شديدة التماس ، بمعنى أنها أشبه بالسكاس من حيث تجوّفها . ومن أبن الخصائص التشريحية التي تشهدها في جنس الرّسيفات جميعاً ، أن فقارات العنق تسع بدلاً من سبع ، وهو العدد السوي في بقية اجناس الفصيلة ، ومعنى هذا تركيباً أن الفقارة العاشرة بُعداً من الرأس هي التي يتفرع منها الضلعان الأوليان بحيث يتداوران مع القص (عظم الصدر) ، في حين أن الفقارة التاسعة ، وقد يحدث أن تكون الثامنة أيضاً ، قد تحمل كل منهما ضلعين طليقين . ومعنى أنهما طليقان ينحصر في أنهما لا يتصلان بعظم الصدر

ولجنس الرّسيفات بضعة أنواع تختلف من حيث اللون أو في طول الشعر على الوجه ، ولونها في العادة متنسق ، غير أنه يحدث أن يكون لبعضها شطب داكن فوق الكتفين . ويقطن «الأي» المناطق الجافة من الغابات عادة ولكن هنا أنواعاً يكثر وجودها في المناطق التي تغشاها المياه على الدوام

وقد لاحظ المواليدى «باتس» أن الهنود يطلقون على «الرّسيف الثلاثي الأصابع» اسم «الأي السّهنلي» أي «رّسيف السهول» تمييزاً له من الرّسيف الأغبر *Bradypus infuscatus* الذي يطلقون عليه اسم «الأي الأجمي» أي «رّسيف الأجمات» والمقصود بالهنود هنا هنود أميركا الحمر

وقد روى بعض الجوالين في أميركا الجنوبية أن الذي يرى الرّسائف في مواطنها الاصلية يلحظ فيها من النشاط ما ينفي عنها صفة الكسل التي ألصقها بها بعض الكتاب . فإن سكان مناطق نهر الأمازون ، الهنود الاصلون منهم وأعقاب البورتغاليين على السّواء ، يؤيدون الفكرة السائدة عن هذه الحيوانات ، ويعتقدون أنها رمز الكسل والتناقل . غير أنه من المناظر العجيبة



أن ترى الرسائف ، وليدة تلك الحركات الظليلة الساكنة ، وهي تنقل من غصن الى غصن . فان كل حركة من حركاتها بل كل سكنة من سكناتها انما توحى اليك ما انصفت به من الجذر الشديد والحيلة البالغة . تلك الصفة التي كانت سبباً فيما وصفت به من كسل وثاقل وبلادة . فان الرسيف لن يخرج من قبضته غصناً تشبث به ، من قبل أن يستمكن ويوقن بأنه استمكن من غصن آخر . فاذا أعوزه الثور على ما يتشبث به من الفروع والعاليج الصلبة التي ينشب فيها كلاليه الخلية رفع جسمه معتمداً على رجليه الخلفيتين ، باحثاً عن شيء يتشبث به . ولن يتشبث بشيء الا بعد أن يمتحنه ويوقن بأنه سناد قوي .

والرسائف ليلية العادات . فاذا تحركت أو حاولت أن تتناول غذاء ، تعلقت بأرجلها وتدلّت برءوسها . أما اذا غلب عليها النوم وشعرت بالحاجة الى الراحة تكررّت (أي التفت كرة كاملة) واطعته رأسها بين ذراعها . وهي من حيث ذلك أشبه الفطاط Pottos بين الصعاير Lemurs . فاذا مررت بتلك السكرات معلقة في الاشجار لم يحيل اليك أنها حيوانات تدب وتحرك ، وانما يحيل اليك أنها درنات عظام لصقت بالفروع ، وبرزت منها وتعيش الرسائف أزواجاً في الغالب ، ولكن لا يندر أن تعيش في أسر أو جماعات . وهي ودودة لينة الخلق بعيدة عن الاذى والشر . وغذاؤها الرئيسي أوراق الاشجار والفريعات اللدنة والفواكه . وهي تجترى بما في هذه المواد من الرطوبات عن الماء .

ومن عجب أن ترى جنساً من الحيوان يعشق نوعاً بعينه من الشجر ويفضل الاقيات به والعيش في ظلاله . فان الرسائف تهوى جنساً يعرف في اللسان العلمي باسم قيقرُ وفي Cecropia . أما في داريان وفنزويلا فان الرسائف على ما يقول ثقة من الموالدين تحلّد الى شجر الققروفا ولا تافاده ، وأنها تفضل بالاخص نوعاً منه يقال له : Cecropia peltata . وأشجار هذا النوع يتفاوت ارتفاعها بين ١٦ و ٢٢ قدماً وجذوعها نحيلة ، وأغصانها وفريعاتها قليلة ، ولكنها حيث ينتهي امتدادها تحمل خُصلاً من الاوراق الغضة اللدنة . ولا تنمو هذه الأشجار في غير الوديان المفتوحة . وفي هذه الأشجار تعيش الرسائف متقلبة بين أغصانها ، فاذا كان النهار تمطت مستشعمة ، أو تكررّت لتأخذ قسطها من النوم . فاذا جنّ الليل تسلت في جنبات الغاب تسمى الى رزقها

اذا جلس الرسيف جلسة اعتدال اثنت منه الرأس نحو الصدر ، وتشبثت الرجلان والبدان بمجذع الشجرة ، حتى يحتفظ الجسم بوضع رأسي . هذا على قول المواليدي « سترز » — Seitz ولكن يقال ايضاً أن الرسائف لا تتدلى من الأشجار ورءوسها الى أسفل الا اذا ابتغت الحركة أو طليت الغذاء . ولقد اخفاً الذين قالوا بأن الرسائف تنضي أكثر عمرها منكسة .



وانها لا تنام في هذا الوضع ، وبخاصة اذا كانت في الأسر ، لأنها لا تجد سنادة صالحة لأن تتخذ بواسطتها الوضع الطبيعي

وتتسلق الرسائف جذوع شجر القسقر وفيها بسهولة وسرعة ، بأن تحتضنها لافئة أذرعها من حولها . فاذا أكلت ما في شجرة منها من الأوراق والأماليد اللدنة نزحت عنها بأن تتخذ لها سبيلاً فوق الأرض حتى تصل الى جذع شجرة أخرى . فاذا رأيتها تدرج على الأرض رأيت عجباً . رأيتها تعتمد على إحدى ذراعيها ، ثم تمد الآخر جهد ما يقسر لها ان تمده حتى يعثر خلفها بفجوة أو شيء تتخذه موضع ارتكاز ، فاذا تشبثت به جرّت جسمها اليه جرّاً ، فتدرج الى الأمام . وقد ذكر لحد الثقات ان رسيفاً استطاع بهذه الوسيلة في ليلة واحدة مداها سبع أو ثمان ساعات ان يقطع مسافة قدرها خمسمائة ياردة

والظاهر أن حسن السمع في هذه الحيوانات غير مكتمل . أما عيونها الجمر الصغيرة المعبرة عن البلادة والحمول فلا تدل على أنها حسنة الابصار . وفي الحق انك اذا نظرت الى رسيف وركزت بصرك في عينه فان انطفاءها وكدرتها توحي اليك بأنه حيوان مكفوف . ولا يلد الرسيف غير فرد واحد . فاذا خرج الى هذا العالم ألفتته مكسواً بشعر كثيف ، ورأيت مخالبه نامية نمو مخالب الأفراد البالغة بالقياس الى حجم البالغ والوليد . والفائدة التي توختها الطبيعة من ان يولد الرسيف ناعمي الخالب هي ان يتخذ منها وسيلة للتشبث بشعر أمه لافقا ذراعيه من حول عنقها

وأهم المظاهر الحيوية في الرسائف انها تطبق الحرمان من الطعام أوقاتاً طويلة . كما انها تحتمل من الجراحات والاضرار البدنية ما لا يقوى عليه غيرها من الحيوانات العليا . وهي كذلك لا تألم ولا تتأذى اذا هي جرعت مقادير من السم ، تفضي الى موت غيرها من حيوانات اكبر منها حجماً . وقد أسر رسيف ثلاثي الأصابع ونقل الى بلدة « تيورين » حيث ظل بلا طعام شهر أكاملاً ، فلم يظهر عليه من أعراض ذلك الصوم الطويل شيء . يمكن أن نحس به فرقاً حيوياً فيه بين أول الصوم ومنتهاه

عامه هذه الظواهر تدلنا على ان الرسائف حيوانات دنية في سلم الطبقات الحيوانية . ذلك بأن الزواحف مثلاً تحتمل من مشقات الحياة ما لا يحتمله الثدييات العليا . وكلما كان الحي أدنى تكويناً كان أشد احتمالاً وأصبر وأجلد على المشقات وأقدر على مقاومة الأذى والحرمان

\* \* \*

ومن الرسيفات جنس آخر سميت في العربية « الأقالز » ويطلق عليه في مرايه اسم « العنوسة » . أما الأقالز (ومفردها الأقلز) فاسمه وصفته . يقابل المصطلح العلمي الذي أطلقه



المواليد يون على هذا الجنس اذ سموه Choloepus ، وهو مصطلح مُؤَلَّد في اللاطينية ، وأصله من لفظين يونانيين الأول معناه «أعرج» والثاني معناه «قدم» ، أما شاهدنا على المصطلح العربي فمن المخصص (٣: ٢١١) عن أبي عبيد: عَشْرَ عَشْرَ عَشْرَ آناً: وهي مشية المقطوع الرجل ، وقول يقزل مثله ، وهو الأقزل ، والقزل أسوأ العرج . اهـ . أما الاسم الدارج «الغنوة» (ج الغنوات) فتعريب وضعته ليقابل الاسم الاهلي لهذا الجنس (Unaus)

ولهذا الجنس نوعان على الأقل ، من أبين خصائصهما ان لهما أصبعين اثنين عاملين في كل من القدمين الأماميتين ، يمثلان في اليد الانسانية الإبهام والوسطى . أما القدمان الخلفيتان ففيها ثلاثة أباحس كما في جنس الرسيف . ولعل القارىء يسأل ما هي الأباحس ؟ فانه اصطلاح جديد استعملناه ليدل على أصابع القدمين (Toes) تميزاً لها من أصابع اليدين (Fingers) ومفردها على القياس «أبجس» . فان الباحث في علم المواليد يضطر الى التفريق بين هذه وتلك في كثير من مواضع بحوثه

ومن الظواهر البينة في هذا الجنس تركيب أسنانه . فان الزوج الأول منها في كلا الفكين يكون أطول وأمتن مما يليه ، ويفصل بينهما وبين بقية الأسنان فرجة كبيرة . أما بقية الأسنان فلها صفات الأنياب ، وترى قممها وقد حُيِّدَت منحرفة بالتأكل من كثرة الاحتكاك بعضها ببعض . ولعلك ترى في أسنانها صفات لا تجعل لها صفات الأنياب (canines) او العاج (tusks) التي لبقية الثدييات . ذلك بأن الأسنان التحتية (أسنان الضبَّة) تعض من خلف الأسنان الفوقية (أسنان الحَكَمَة) لا من أمامها

والنوع الأول من نوعي الأقازل ويسمى في الكلام الدارج «الغنوة العادي» وفي اللسان العلمي «الأقزل ذو الأصبعين» ليس له من فقارات الرقبة سوى سبع على الضد مما لأقزل هوفن فان له ستاً فقط . والنوع الأول من هذين يستوطن البرازيل ولا يحور عنها ، في حين ان الثاني يمتد انتشاره من إكوادور الى كوستاريكا . ويخرج أقزل هوفن صوتاً هو أشبه بثغاء الشاة . أما من حيث العادات فان الأقازل تشبه الرسائف في كثير منها

\*\*\*

والرسيفات أسلاف بائدة ، تعرف في مباحث التاريخ الطبيعي باسم «الرسائف الأرضية المنقرضة» ، وقد أفرد لها المواليدون فصيلة أطلقوا عليها اسم Megalotheriidae او Megatheriidae ، ووضعت لها في العربية اسم الكبشيات نحتاً من مدلول اللفظين اللذين يتركب منهما الاسم الاصطلاحي الفرنجي . فانه مؤلَّد في اللاطينية ، وأصله من لفظين يونانيين : الأول (megas) او (megal) ومعناه كبير والثاني (therion) ومعناه بهيم : وتأويل



النحت : ك ا ب ٢ ي ر + ب ه ٣ ي م ٤ = ك ب ه م ٥ ، والفصيلة الكبهيميات . وكانت الكبهيميات كثيرة الذبوع في أميركا الجنوبية . وبحثها استطاع المواليدون ان يثبتوا الآصرة التي تربط بين الرسيفات وبين النسماليات ( او أوا كل النمل )

وأعظم أجناس هذه الفصيلة البائدة جنس يسمى علمياً «الكبهم» ، بلغ من عظم الجثة وضخامة البدن مبلغ القيل . وإلى جانب هذا الجنس الكبير ثلاثة أجناس أخرى . الاول السنهام (م) : سننهم (Glossotherium) ووضعت له هذا الاسم من العربية بالنحت من مدلول اسمه الاصطلاحي الافرنجي . فانه مولد في اللاتينية واصله من لفظين يونانيين الاول glossa اي لسان ، والثاني (therion) اي بهيمة : وتأويل النحت : ل س ا ن ١ + ب ه ٣ ي م ٤ = سننهم (ج: السنهام) ، والثاني الطحونات (Mylodon) واصله من لفظ يوناني حديث (mulodous) ومعناه سن طاحن او ضرسن ، من (muly) اي طاحونة و (odous, odont) اي سن . والمصطلح العربي وزان فعول من الفعل طحن ، ومفردة الطحون . والثالث الجلام (م) : جلهم (Schelidotherium) وهو اسم وضعت بالنحت من مدلول المصطلح الفرنسي ، فانه مولد في اللاتينية واصله من لفظين يونانيين : الاول (skelis) أو (skelid) ومعناه «رجل» والثاني (therion) ومعناه بهيمة ، وتأويل النحت - رج ل ٢ + ب ه ٣ ي م ٤ = جلهم

ولكل من هذه الاجناس صفات تميزه ، قد لحظها المواليدون في البقايا المستحاثية التي عثروا عليها وبخاصة في اسنانها . اما الشأن الاول من حيث القيمة العلمية فلتنوع من جنس السنهام يعرف علمياً باسم «السننم الدرويني» (Glossotherium darwini) ، اذ عثر على جزء من جلده محفوظاً في كهف يعرف عند الجغرافيين باسم «التيما إسبيرانزا» بجنوب بتاغونيا . وقد وجد أن هذا الجلد يكسوه من الخارج شعر طويل كث خشن ، يشبه الى حد كبير جلد الرسائف العائشة اليوم . أما وجهه الداخلي ففيه ظاهرة غريبة هي أنه مهبطاً بعقد ملس صغيرة من العظام . ولقد عثر في عظام جنس الطحون على عقد أشبه بهذه . ولكن هذه العقد كانت منحوتة من احد جوانبها فرجح الباحثون أنها كانت خارجية لاداخلية شأن العقد التي وجدت في جلد السنهام . ولقد اتضح أيضاً أن الجلد والعظام التي عثر بها في بتاغونيا قد دفنت في مادة خاصة وأن العظام قد قطعت بأداة حادة ، مما يدل دلالة قاطعة على أن الرسائف الارضية المنقرضة قد قطعت الكهوف مع الانسان الاول ، وان الانسان دجنها وأنسبها في عصر من عصور تاريخه الطويل



# خلافتي تنقصنا

الوثنية الاجتماعية

لاسماعيل مظهر

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الاصنام  
[قرآن كريم]

في اليوم الذي تستكمل فيه جمعية من الجمعيات الانسانية اسباب الأمن ، وتجنب عبادة  
الاصنام ، تفتح امامها ابواب الحضارة وتثد خطواتها وتستقيم سبيلها التي تسلم بها الى معارج القوة  
النفسية . ولا اقصد هنا بعبادة الاصنام اتخاذها أرباباً من دون الله ، فقد كفانا هداة الانسانية  
الاصنام وعبادتها ووجهونا الى النور فلمسنا وأبصرنا أشعة الوضوء تخترق لنا ظلام القرون  
الأولى . والظاهر أن الجمعيات الانسانية فيها خاصية تجعل حياتها بغير الأمن موصولة بعبادة  
الاصنام . فحيث لا يكون الأمن تكون عبادة الاصنام ، وعبادة الاصنام لا تكون الا حيث يتفق  
الأمن ويهدد أبناء آدم في اقواتهم وارزاقهم واقدارهم المعنوية بصفة انهم من الآدميين . لهذا  
نجد ان كل جمعية من الجمعيات سادتها سلطات الأفراد واستبدت بهم ارادة الكبراء من السادة  
والنبلاء ، انحدرت سريعاً الى عبادة الاصنام مصبوعة بصبغة جديدة . فانهم ان لم يعودوا الى  
عبادة اوثنان يخلقونها بأيديهم ، خلقوا في خيالاتهم اوثناناً يعظمها الوهم ويفخمها الخيال ، فتصبح  
حياتهم وقد افعمت بالاوثنان السكينة المتعددة ، فهذا له وثن في صورة زعيم ، وذلك له وثن آخر  
في صورة رئيس ، وثالث له وثن في صورة موظف ، ورابع له وثن في صورة وزير ، وخامس له  
وثن في صورة وظيفة او كرسي . ما يملؤه في فراغ الحكومة . ومن هنا ينحدر الناس انحداراً  
آخر فيخيل اليهم ان تلك الاوثنان التي جسمتها خيالاتهم ونفختها أوهامهم قد أصبحت جزءاً  
من حياتهم وقسماً من انفسهم التي يرددونها في صدورهم ، فتكبت فيهم كل صفة انسانية عالية  
ليحل محلها صفات لا تكون الا حيث يكون الخوف من الاوثنان بما يحوطهم به الخيال من الأساطير  
والخرافات التي تتحول مع الزمن فتصبح عقائد ثابتة



هذه الصورة التي رسمتها في الأسطر السابقة ، على بشاعتها وغلظها ، وعلى ما فيها من السيئات والقبائح ، ينطبق أكثر ما فيها على مجتمعنا ، بل اني لا أبالغ اذا قلت انها صورة مرسومة من المجتمع الذي اعيش فيه واشعر بنقائصه ، وأنشد له الحكالات . صورة تعبر ادق تعبير عن أفكار وآراء يحاول الكثيرون ان يخفوها في انفسهم حذر أن تبطش بهم الأوثان المفضحة زوراً ، المضخمة بهتاناً وإفكاً . مثلهم في ذلك مثل الانسان في عصور الظلام عند ما كان يحيل من الطين او الحجر صورة يتخذها وثناً يعبد . فهو ألهيته ولعبته ما دام بين يديه بصورة ويجلو اجزائه وقواسمه ، فاذا فرغ من ذلك العمل الفني وخر له ساجداً ، ملائمة الرهبة واخذ بخناقه الخوف والرهبة فانكش وراح يحوط وثنه بانواع الاساطير وضروب الخرافات ، ويحيك من حوله الحوادث وينسب اليه الكرامات ، ويضفي عليه من القوى ما يشاء وهم ان يضفي مما لم تخلق الطبيعة في تضاعيف الوجود منه شيئاً

\*\*\*

والانسان البُدائي إن فعل ذلك وساقه وهمه إليه ، فهو انما يفعله مسوقاً بعامل من الحياة يدفعه الى البحث وراء قوة تحميه من أعاصير الطبيعة التي تحوطه والسباع التي تنهشه والامراض التي تبئليه والرياح التي تتناوح من حوله وهزيم الرعود التي تصم أذنيه . أما الانسان الحالي ، الانسان الذي نقول إفكاً وزوراً انه بلغ من مدارج الرقي مبلغاً جعله يفقه ما هي قيمة الحياة عامة ، وما هي قيمة الحياة الانسانية خاصة ، وانه تنسم بقوى عقله تلك الذروة التي بلغ عندها حد تقديس المثاليات بما فيها الحرية والصراحة والصدق الى آخرها في قائمة الفضائل التي عددها الفلاسفة ورجال الأخلاق . ذلك الانسان انما يعود بعد طول الجهاد في سبيل التحرر العقلي والنفسي الى عبادة الأوثان في صور جديدة ، مسوقاً هو كذلك بعامل من الحياة يدفعه الى طلب النجاة من قسوة النظام الاقتصادي الذي يحوطه وقسوة نظام المجتمع الذي يجعل للطبقات شأناً لا تحوله لها القوانين ولا تحيزه الشرائع . أما اذا كانت نتيجة ذلك الجهاد الطويل الذي بذل الانسان فيه غاية الجهد ، والصراع الفذ الذي يروي لنا التاريخ وقائمه قائمة بين الانسان وقوى الشر والاستعباد ، أن تعود الجماعات الانسانية الى عبادة الأوثان ممثلة في اشخاص من رجال الحكم او الدجاجة او المشعوذين ، أو ممثلة في حاجات الحياة التي يمنعها النظام الاجتماعي عن كل من يريد ان يتحرر من تلك الأوثان التي افعمت جل طبقاته وساقته سوقاً الى الذلة والخضوع والاستسلام ، فما أجدرنا ان نقول ان الانسان لم يريج من جهاده المبرير خلال كل الاحقاب الماضية الاً أمراً واحداً ، هو الاعتقاد بأنه في بداءة الجهاد ، وان الماضي برمته لم



يكن إلا مقدمة لم تقطع بمد بعض مراحلها . وإلا فما الفارق الحقيقي بين ذلك الوثن الذي كان يصوره الانسان البدائي بأصابعه ويخلقه في الصورة التي تلذ له ليعبده من بعد ذلك ويسجد له ، وبين أوثان العصر الحاضر ، كذي السلطان الحكومي الذي يستخدم سلطانه في سبيل استعباد الذين يلونه في المرتبة ، او المشعوذ الذي يستهوي صفار العقول ، او الدجال السياسي الذي يسوق أمامه الجماهير سوقاً ، مستغلاً فيهم الغفلة أو الجهل ، أو متخذاً من صلفه وتجيده سبيلاً الى اخضاعهم ، مستخفياً وراء كلمات رنانة مما أدخل الفلاسفة في قاموس المثلاليات . تلك المثلاليات التي لم يؤمن بها دجال واحد من دجاجة السياسة في عصر من عصور التاريخ . وإنما اتخذوها أداة ووسيلة ليكمل لهم بها اضافة قوة الى انفسهم ترفعهم مع ما يرفعهم من بقية ضروب الدجل والاختلاق ، الى مرتبة الأوثان

\*\*\*

وفي الحق ان الانسان قد جهد وعمل طوال عصور مديدة على ان يعبد تلك الأوثان على اختلاف صورها ، وان يرمي بها في حفر الماضي . ولقد كان جهاده في سبيل ذلك جهاداً صادقاً أفنى فيه كثيرون ممن تعتبرهم زهرة الانسانية أعمارهم الكريمة . ففي عصر القطائع عاش الناس وهم يعبدون ذلك الوثن المربع الذي ملك رقابهم وأرزاقهم وأولادهم ونساءهم . فقد كان المقطع الأعظم الوثن الأكبر ومن تحته رؤساء قطائمه لكل منهم من قوة الوثن بمقدار ما يملك من رقاب وحطام . فعمل الناس جاهدين على ان يخبوا في ظل تلك الأصنام حياة الذل راضين به قانعين على ظواهرهم ، بينما كانت قوى التقدم تعمل في سبيل نشر الديمقراطية والعمل على احياء الشعوب برد حقوقها الطبيعية اليها . على ان ذلك الجهاد الذي أخرج الناس من ظلمات عهد القطائع الى عهد الحرية الديمقراطية ، ان كان قد توج بالقضاء على الوثن الأول ، فان انقلاب النظام الاقتصادي الذي ترتب على شيوع النظم الديمقراطية ، قد رمى الأمم فيما رماهم به بأوثان جديدة لم ينقص معها عدد الأوثان الأولى بل زاد زيادة فادحة أثقلت من الانسان كاهله وحملته من الأوزار ما لا يطيق . وإذا كانت الحرية الصحيحة تقضي بأن يعول المجتمع كل أفراد به أن يجد كل منهم رزقه بعمل يعمل بحسب اختياره وفي نطاق ارادته ، وان يؤدي ذلك العمل بالصورة التي تلذ له وترضيه ، اذن فما أبعدنا بنظامنا الحالي عن الحرية ، وما أقربنا الى العبودية التي هي أبين شيء في نظام تسوده عبادة الأوثان . ولك ان تتصور نظاماً تكفي فيه كلمة حق أو قولة صريحة لأن تبعد عاملاً عن عمله أو موظفاً عن وظيفته أو زارعاً عن حقله أو سياسياً عن حزبه ، لا ليجد كل منهم بعد ذلك عملاً يعمل به او وظيفة يشغلها أو حقلاً يزرعه أو حزباً يرحب بمواهبه ، بل ليجد ان جميع الأبواب قد سدت ، وان جميع المنافذ قد



أوصدت ، وإن الفقر أخذ يقرع عليه الباب ، وإن الخراب بدأ يدب في كيانه الاجتماعي ، وإنه أصبح منبوذاً من المجتمع شريداً طريداً يلاحقه الجوع وبصارعه العري ويحالده الحوف ويسوقه إلى حيث يسقط في مدارج المجتمع مدرجاً بعد مدرج حتى تبطله اللجة فإذا به الصفر المنسي أو الهشيم الذي تذرره الرياح

عامة ذا يحدث ويقع لأن المجتمع بطبقاته يعبد الأوثان . وإن مجتمعاً أطبق على أن يكون وثيقاً في نظامه الاجتماعي ، من شأنه أن يقوم عرفه السائد على أن يحفظ هذه الصورة البشعة قائمة فيه . فإذا خرج على ذلك المجتمع منبوذاً استقامت أخلاقه ورَجُلَ فرعه وضاعت حرته عن أن تسع الاستعباد ولم تلن قنانه لذلك وصلب عوده أمام الجيروت الوثني الذي تتخذه الأوثان الاجتماعية سبيلاً للظفر بفرائسها ، شعرت جميع طبقات ذلك المجتمع ، الأوثان منهم وعبدت تلك الأوثان جميعاً ، أن ذلك المنبوذ إنما هو نذير شر ورسول سوء ، يهدد نظامهم الذي أرضاهم ورضوا به

وكان هذا هو السر في أن المجتمع الموبوء بتلك الصورة الوثنية إذا خرج عليه منبوذاً ، قسى عليه وشدَّ عليه الحناق حتى تحمد منه الأنفاس وروح مستذلاً ويموت فيكون نسياً أما وقد ذكرنا الديمقراطية فإنه ينبغي لنا أن نعرف مقدار ما في ذلك النظام من قوة يمكن أن تقضي على صورة الوثنية الاجتماعية التي ترزح في مصر تحت أعبائها . وأول ما نقول أن الديمقراطية كنظام مكتوب قد استكملت بحمل ما جاهد الإنسان في سبيله من المثاليات . أما كنظام مطبق فإن تغلب المثاليات عليها أو تغلب الوثنية الاجتماعية ، أمرٌ راجع إلى كفاءة الذين يطبقونها

فعلى أية صورة طبقنا الديمقراطية وبأية روح طبقناها ؟ ومحصل ذلك أن النظام الديمقراطي لكي يكون مثالي الصورة والأثر ، ينبغي أن يكون شيئاً حياً نابضاً في قلوب الذي يطبقونه ويتخذونه أساساً لنظامهم السياسي والتشريعي ، وإلا ساء التطبيق وإن سما المبدأ ، وماتت بسوئه المثاليات ورفعت الوثنية الاجتماعية رأسها الأقرن الذي هو أشبه برأس الحية ، لتنفث في همودها وسباتها ذلك السم الذي يفسد الحياة

\*\*\*

رمت الصيحات الأولى التي تجاوبت بها أنحاء مصر في سبيل الديمقراطية منذ نيف وثلاثين سنة عندما قامت بعض الهيئات تطالب بإعلان الدستور ووضع قانون التشريع الأساسي على المبادئ الديمقراطية . وأذكر أن الهيئة التي قامت تنادي بذلك كانت تناوى الحداثة في ذلك العصر متهمّة عند الرأي العام ، وكان دائرة محدودة ، بموالاتها للاحتلال البريطاني . فقامت



هيئة أخرى كانت تعمل بجهد على جلاء الانكليز عنهم أصحاب الدستور بانهم انما يطالبون بالدستور  
إضافاً للخديوية وقصصاً من حواشيتها تثبيتاً لاقدام الانكليز في مصر . ودار الزمن دورته  
المعروفة وأعلن الدستور بسعي الذين سمعوا له ، والله يعلم اي يد كانت من وراء ذلك الأمر كله ،  
فأعدنا دستوراً على الورق وأخذنا نطبقه معلنين ان الأمة مصدر السلطات وان الحكم  
الاعلى في مجلس النواب . ولكن هل أغنانا ذلك عن الماضي شيئاً ؟ الواقع ان موقفنا اليوم  
لم يتغير الا في الظاهر . فالوثنية الفردية التي عملنا على اقتلاع جذورها منذ الساعة التي صحنا  
فيها بوجوب اعلان الدستور ما زالت قائمة بكل مخابها ، والوثنية الاجتماعية التي تصورنا أن  
الدستور خير كفيل بالقضاء عليها هي بيننا الوثنية التي طائفنا منها الامرين منذ قرون موعلة  
في القدم

فعلى الرغم من أن الدستور كفّل الحريات وابعها في حدود القانون ما زلنا ننظر الى الحكومة  
نظرة الوثني الذي ينظر الى ربه الذي خلقه هو بيده ، وما زلنا ننظر الى كل من يمثل سلطة  
عليها من سلطاتها بما يقرب من النظر الى وثن أصغر يمثل وثناً أكبر ، وما زلنا نشعر بأن تدرج  
القيمة الوثنية لرجال الحكومة تدرج ارتفاعاً وانخفاضاً وارتفاعاً بارتفاع درجة الوظيفة وانخفاضها  
وضخامة المرتب أو ضآلته . وكذلك لم نشعر في خارج الدائرة الحكومية بأن الحرية قد حررتنا  
من الوثنيات الأخرى الخارجة عن وثنية الحكومة ، فخلقنا ، وكأنا نخلق بدافع من أنفسنا  
رئيس فيها ، أو ثنائاً في الصحافة وأو ثنائاً في الادب وأو ثنائاً في الاقتصاد ، وخلقنا غير هؤلاء أو ثنائاً  
وأو ثنائاً جسمناها ووضعناها في حجرة مدير الاقليم وأمور المراكز ومعاون البوليس والعمدة ،  
ورحنا نؤمن بأن هيئة الحكم ونظام الاجتماع لا يقومان الا على مثل هذه الوثنية التي إن  
أساءت الى الخلق بشيء ، فانها انما تفسد نظام الحكم وتحور القوانين والشرائع الى صالح  
الأوثان المعبودة لا الى صالح الوثنيين

\*\*\*

ان الواجب الاول على الاحرار من رجال هذه الامة أن أرادوا أن يبنوا مستقبلها أن  
يحطمو تلك الاوثان . وستدور بحوثنا المقبلة حول كل من الصور التي تجسست فيها هذه  
الاوثان الاجتماعية ، والسبيل التي تسلم الى تحطيمها



# المطاط من غاز

ومطاط من نسط

نواحٍ من عجائب الكيمياء الصناعية

— ١ —

ليس لدولة ما غنى عن المطاط لا في اثناء الحرب ولا في ايام السلام . فمنافعه كثيرة ووجوه استعماله شتى وان كان اظهرها واوسعها نطاقاً استعماله اطاراً لعجلات مركبات النقل الحديث . واذا كانت الحرب قد وجّهت النظر اليه ، لأن مركبات الحرب الميكانيكية الحديثة لا تستطيع حراكاً بدونه ، ولأنه من هذا القليل صنو النفط المسكر أو غير المسكر ، فان العلماء معنيون بدراسته من سنوات لعلمهم يوفقون الى صنع التركيب الكيميائي ، مدفوعين الى ذلك بعوامل اقتصادية جنباً الى جنب مع العوامل الحربية

فمنه اولاً وجوه كثيرة يصلح لها المطاط الصناعي اكثر مما يصلح لها المطاط الطبيعي . ثم ان التقلب في اسعار المطاط الطبيعي تقلباً كبيراً حمل رجال الصناعة والاقتصاد على توفير موارد للمطاط لا تتعرض لهذا التقلب الكبير فنظم الصناعات التي تحتاج اليه على اساس مستقر لا يصيبه التغير والتقلب إلا في حدود معقولة . ففي سنة ١٩٢٥ وحواليها كان رطل المطاط يباع في نيويورك بريال ونحو ربع ريال . فهبط في سنة ١٩٣٨ الى ثلاثة سنتات أي ستة مليارات وهو الان يباع بنحو ٢٠ سنتاً أي أربعة قروش . وسبب هذا التقلب في رأي كاتب اميركي في مجلة هاربرز الاميركية ان انتاجه كان شبه احتكار وان المحتكرين كانوا في شغل بال ربح الوفير عن تنظيم الانتاج وفقاً لمقتضيات السوق العالمية

بدأ الاقبال في انتاج المطاط وجني الربح منه في الشرق الأقصى سنة ١٩١٠ وكانت رؤوس الأموال البريطانية والهولندية من ورائه . وقبل ذلك كان معظم المطاط يستخرج من أشجاره البرية في وادي الأمازون بولاية پارا البرازيلية . فلما اتسع نطاق صناعة السيارات وازداد الطلب على المطاط حاول المسيطرون على الانتاج البرازيلي التحكم في الاسعار . فارتفع سعر



الرطل الى ثلاثة ريات فافضى ذلك الى الاقبال على زرع اشجاره في الهند الشرقية الهولندية ومالاي وسيلان ، ولم يكتف زراعته في الشرق الأقصى باغتصاب الأسواق العالمية من منتجيها في البرازيل ، بل فعلوا ذلك بشجرة المطاط البرازيلية نفسها . ذلك ان بذور الشجرة البرازيلية *Hevea brasiliensis* أخذت قبل ذلك الى لندن وزرعت في سيلان ثم حُرِبت في مالاي وسومطرة والبلدان الاستوائية المجاورة لها فتمت نمواً غزيراً . ووصلت الشحنة الأولى من نتاج هذه الأشجار الى لندن في سنة ١٩٠٥ فلما ارتفعت أسعاره في الأسواق العالمية بتأثير التحكم البرازيلي ، اتسع نطاق زراعته في جنوب آسيا الشرقية

وكانت العوامل الإقليمية والاجتماعية في جنوب آسيا الشرقية مواتية لزراعة أشجار المطاط فيها ، فالمطر غزير واليد العاملة رخيصة والشجر هناك لا يتعرض لآفة تصيبه في البرازيل ، ثم ابتكر زراعة طريقة للتطعيم بالبزعم ، زادت مقدار نتاج الشجر ، فاستولى زراع شجر المطاط في تلك البلدان على أسواق المطاط العالمية وجنوا ربحاً وفيراً اذ كان معدل سعر الرطل حتى أواخر سنة ١٩١٩ نحو عشرة قروش ، ووافق ذلك توسع عظيم في صناعة السيارات ومعدل ما يحتاج اليه السيارة في السنة خمسة اطارات منه لمجالاتها ، وصحب ذلك إشتداد الحاجة اليه في أثناء الحرب العالمية الأولى . ولما كانت المانيا عاجزة عن الاستيراد بفعل الحصر البحري فلها بدأت تجارها الأولى لصنع المطاط بالتركيب الكيميائي

\*\*\*

هذا الاقبال العظيم على المطاط حدا باصحاب مزارعه في جنوب آسيا الشرقية الى توسيع نطاقها لتلبية الطلب فلما عقت الحرب العالمية الأولى ضائقة اقتصادية عامة اصابتهم في الصميم ولا سيما ان أشجار المطاط لا تنتج مطاطاً إلا بعد انقضاء سنوات على غرسها . فالأشجار التي غرسها أصحاب مزارعه في بدء الحرب ، بدأت تؤتي نتاجها بعيد انتهاء الحرب فكثير المعروض عند ماقل الطلب . وزاد الطين بلة أن المصانع الأمريكية التي تصنع اطارات المطاط لمجلات السيارات وهي تستهلك سبعين في المائة من كل ما تستورده أميركا من المطاط غيرت أسلوبها في صنع الاطارات فأصبحت الاطارات الجديدة أطول عمراً من الاطارات القديمة فقل طلب هذه المصانع قلة تذكر

فتلا ذلك تقييد المساحات المزروعة على نحو ما فعلت مصر بمساحة الأرض التي تزرع قطناً وعلى ما فعلت أميركا في بدء عهد الرئيس روزفلت ، وعلى ما فعلت البرازيل في الأرض التي تزرع بنياً . والغرض نقص الانتاج ورفع الاسعار . وفي سنة ١٩٢٢ صدر قانون يعرف بقانون ستيفنسن فرضت بمقتضاه ضريبة على كل صادر من المطاط اذا زاد عن مقدار معين فقل المحصول



واستنفذ الخزون فما أقيمت سنة ١٩٢٥ حتى قلَّ المعروض عن المطلوب فذعر أصحاب المصانع وارتفعت الاسعار حتى بلغت خمسة وعشرين قرشاً للرطل الواحد . وأهمل هذا القانون بعد ست سنوات فعمقت أهاله فترة من الاضطراب والفوضى في انتاج المطاط وسوقه ، ووافق ذلك تفاقم الأزمة العالمية الاقتصادية فهبط سعره حتى بلغ ستة مليات للـرطل الواحد . وهبوط السعر هبوطاً خائئياً او سريماً كارتفاعه ارتفاعاً خائئياً او سريماً مضرراً بمصلحة أصحاب المصانع التي تعتمد عليه ولاغنى لها عنه . فقد يخزون مقداراً آمنه فاذا هبط السعر كانت خسارة فادحة، وقد لا يخزون مقداراً كافياً منه معتمدين على اطراد العرض فاذا ارتفع السعر كانت خسارة فادحة كذلك

## — ٢ —

من نحو خمس عشرة سنة ، التقى القس الدكتور جوليوس نيولاند ، بأحد رجال شركة ديبونت الاميركية في اجتماع علمي . فقال القس انه ابتكر طريقة تمكنه من استخراج مادة دعاها دايڤينيل اسيثيلين divinyl acetylene من غاز الـايتلين<sup>(١)</sup> . فاهتم صاحبه بالأمر لأن لهذا القول صلة بما كانت تبذله الشركة من جهد لصنع المطاط بالتركيب الكيميائي . وكانت الشركة قد اهتمت بالموضوع عند ما ارتفعت الاسعار ارتفاعاً كبير على أثر سن قانون ستيفنسن . ولم تكن وحدها في ذلك . فالبلدان التي تنتج المطاط حاولت جهدها ان تزيد المزارع من اشجاره فيها . وبدأ فوراً نفسه في زراعة اشجاره في مناطق شاسعة في البرازيل على الرغم من الآفة التي تصيب اوراقها هناك وارتفاع اجر اليد العاملة . ووجهت مصانع الولايات المتحدة عناية خاصة الى استرداد المطاط المستعمل المتبوذ

واهتم علماء النبات بدراسة النباتات التي لها عصير لبنى لهم يكشفون نباتاً ينافس شجرة الهيشيا Hevea وأكب الكيميائيون على دراسة مذكرات العلماء الذين بذلوا سنين من حياتهم يبحثون عن مادة مطاطة تنافس المطاط الطبيعي ، ولم يكن هؤلاء العلماء نوادر

فقبل ثمانين سنة استخلص عالم يدعى جرفيل وليرز السائل الأساسي من المطاط ودعاها ايزوبرين Isoprene<sup>(٢)</sup> وتبعه بوشاردية في فرنسا فحول السائل ثانية الى مطاط . وفي سنة ١٨٨٢ أقبل رجل يدعى تلدن وحطم زيت التربينيتا واستخرج منه مادة ظنها الايزوبرين وجوَّها الى مادة مطاطة . وفي سنة ١٩١٠ صنع رجل يدعى كيريا كيديس — وكان يشتغل

(١) راجع التفصيل العلمي لاسلوبه في مقال « مطاط من غاز » مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٥ ص ٥٤٩

(٢) تعرف هذه المادة باسمها الكيميائي beta-methyl-butadiene



بشركة مطاط في احدى مدن اميركا — مطاطاً بالتركيب الكيميائي وحوالي الوقت نفسه وضع هوفن في المانيا الأساس لصنع المطاط الصناعي المعروف باسم بونا . وغير هؤلاء كثير . وكان جميع الباحثين يعلمون أنهم يستطيعون ان يصنعوا مطاطاً من مواد تستخرج من قوالب الذرة او نشارة الخشب وقد جرب الألمان استخراجها من البطاطس والاطاليون من الطماطم . ولكن المسألة الأساسية في الموضوع ، كانت اختيار النباتات الرخيصة الوافرة ثم استنباط اسلوب صناعي يحولها بنفقة معقولة الى مادة تشبه المطاط وتحل محله

وكان الدكتور نيولاند منصرفاً الى تجربة التجارب بغاز الأسيتلين منذ صغره . فلما اطلع بمثل شركة ديبونت على ما كشفه من اسلوب لاستخراج تلك المادة ( دايفيل اسيتلين ) من غاز الاسيتلين ، اهتم الرجل بالامر لأن علماء شركته كانوا قد قضوا سنوات وهم يبحثون عن طريقة لصنع المطاط من ذلك الغاز . فحرب ديبونت مادة الكلوروبرين ( وهي قريبة من الناحية الكيميائية من الايزوبرين ) وحوّلها الى مطاط صناعي ودعاه « النيوبرين » والمواد الأساسية التي تدخل في صنع هذا المطاط تستخرج من الفحم والحجر الجيري والملح . وفي سنة ١٩٣٢ عرضت في السوق للبيع ومنذ تلك السنة وشركة ديبونت تضاعف انتاجها منه سنة بعد اخرى . وكانت تنتج ٥٥٠ الف رطل كل شهر في اواسط سنة ١٩٤٠ ، وسيصبح في قدرتها انتاج ستة آلاف طن في السنة عند ما يتم صنع مصنعها الجديد

وانشاء هذه المصانع لم يكن ميسراً . لأن الاسلوب الكيميائي والاسلوب الصناعي كانا جديدين ، فالتقدم في الاتقان مطرد وفقاً للبحث . ولا بدّ من اجراء تعديل في الادوات المستعملة في المصانع وفقاً لوجوه التحسين التي يسفر عنها البحث والتجريب . ولذلك رأى رجال شركة ديبونت ان المصانع الجديدة تفقد معظم مزاياها بعد انقضاء سنة على بنائها . وهذا كله يقتضي نفقة كبيرة . ومع ذلك استطاعوا ان يخفضوا سعر الرطل من « النيوبرين » من ٢١ قرشاً الى ١٣ قرشاً . وفي اميركا الآن مائتان وخمسون مصنعاً تستعمل النيوبرين بدلاً من المطاط الطبيعي في صنع ادوات يصلح لها النيوبرين اكثر مما يصلح لها المطاط الطبيعي ولذلك يقبلون تحمّل الفرق بين سعر النيوبرين ( ٦٥ سنتاً للرطل ) وسعر المطاط الطبيعي ( ١٨ سنتاً للرطل )



من المزايا التي يتصف بها النيوبرين شدة مقاومته لفعل الزيت وغيره من المواد الكيميائية التي تحل المطاط الطبيعي وكذلك مقاومته لفعل ضوء الشمس والحرارة ولذلك فهو أصلح من المطاط الطبيعي لصنع أنابيب البنزين في محطات تموين السيارات والسيور العربية التي تستعمل



في مصانع الانتاج الواسع النطاق وبعض اجزاء السيارات حيث تقتضي الصناعة مساند من المطاط لبعض اجزاء السيارة وكذلك قفافيز المطاط اللازمة في المطبخ وغيره ، وتستعمل في صنع الاطارات الصلبة لمجالات السيارات ولكن استعماله في الاطارات التي تنفخ بالهواء لا يزال في دور التجربة

### — ٣ —

وعلى الرغم من نجاح النيوبرين فان اقطاب شركة جودرتش المشهورة بصناعة اطارات عجلات السيارات يعتقدون ان الحل الصحيح لمشكلة المطاط الصناعي يجب ان يكون باستخراج البوتان (الايوبرين) رأساً من النفط . ذلك بأن النفط عندما يحطم جزئياً لاستخراج مشتقاته المختلفة منه ، يخرج منه غاز يدعى غاز البوتان Butane مع النفاية . واذا استنبط الاسلوب الصناعي الموافق لاستخراج البوتان من النفط ، فان استخراجه لا يجب ان يتعارض مع استخراج البزير اللازم للسيارات

وفعلًا صنعت شركة جودرتش مطاطاً صناعياً من البوتان سمته اميرپول Ameripol وصنع رجالها منه اطارات وهم على ثقة بأنه اذا اتيج لهم الوقت الكافي لاتقان وسائل صنعها صنعاً واسع النطاق فانهم يستطيعون ان ينافسوا به المطاط الطبيعي

هذا المطاط المستخرج من النفط وليد بحث قام به رجل يدعى الدكتور وولدو سيمون Waldo Semon . كان قد توفر على الكيمياء الصناعية واشهر فيها فلما اذيع نبأ فوز القس نيولاند بصنع المطاط من غاز الاسيتلين استقال سيمون من منصب مدرس في جامعة واشنطن وذهب الى اكرون بولاية اوهايو حيث مصانع جودرتش المشهورة تلبية لدعوتهم . فاخترع اولاً مادة تدعى كوروسيل وهي من العجائن الكيميائية التي لا تتأثر بالنفط ولا بالحمض ولا بالضوء . وتستعمل كالمطاط في عشرات من الاغراض الصناعية كصنع المعاطف الواقية من المطر وما أشبه . ولكن الكوروسيل ، مع تفوقه على المطاط الطبيعي في كثير من مزاياه ، لا يصلح للتقسية اي لصنع اطارات عجلات السيارات . فأكب سيمون ومعاونوه على البحث حتى استخرجوا «الاميرپول» وقد اختاروه من نحو خمسة آلاف مطاط صناعي جرّبوا التجارب بها وصنعوا منه اطارات لعجلات السيارات وامتحنوها في المعمل وعلى الطريق . وشركة جودرتش تصنع الآن بضع مئات من اطارات عجلات السيارات كل اسبوع ، تدخل فيها الاميرپول بنسب مختلفة تتفاوت من خمسين في المائة الى مائة في المائة



# العربية ومصائبها

للاب أنستاس ماري الكرمل

١ تمهيد

كتب حضرة الأستاذ الشهير ، والعلامة الكبير ، الأمير مصطفى الشهابي ، مقالة بدیعة في هذه المجلة ( المقتطف ٩٧ : ٢٥٢ وما يليها ) عنوانها : « المعاجم العربية ، وحاجتنا الى معجمين » ووافقتني فيها على ان في دواويننا اللغوية عيوباً لا تنكر ، ولا بد من اصلاحها ، اذا اردنا بحجارة الأمم الراقية في هذا العصر ، عصر النور ، والتحقیق ، وتدقیق النظر في كل ما ينتجهُ ابناؤهُ « وختم كلامه باننا في حاجة الى معجمين : صغير وكبير . فيشتمل الصغير على الضروري من الألفاظ القديمة وعلى مايجري على ألسنة الأدباء ، وأقلام الكتّاب ، من أوضاع العلوم والمخترعات والمصطلحات الحديثة ، وتعرف تعريفاً علمياً ، صادقاً ، صحيحاً ، جامعاً مانعاً ، على حدّ ما يرى في معجم لاروس الصغير

قلتُ : وجمع فؤاد الأول لغة العربية ، جاد في تحقيق هذه الأمنية والمعجم الثاني ، يكون افرنجياً عربياً ، أو عربياً افرنجياً ، يشتمل على أصح الألفاظ العربية الناضرة الى السكلم الافرنجية أو بالعكس . وهذا ايضاً يسعى المجمع المذكور في وضعه ، لكن الشغل في وضع هذه الدواوين بطيء لا يشعر به أو لا يكاد يشعر بحركتيه ، ولا سيما في هذه الأيام النجسة التي نشبت فيها هذه الحرب الساحقة الماحقة ، فانها أضرت ضرراً لا يُقدر نتاجُها واتّادت حركته . فاذا زالت هذه المحنة العظمى ، اندفع المجمع الجليل الى تحقيق الاماني ، بمنه وكرمه

٢ نقص معاجنا

ومما يجب ان ننبّه اليه الاذهان ، وضع معجم يستدرك فيه ما لم تدوّنهُ دواويننا ، حتى الكبار منها كالتهذيب ، ولسان العرب ، وتاج العروص ، والاوقيانوس ، مع انك ترى تلك السكلم



مصفدة ومقيدة في أسفار عديدة قديمة لحجج أثبات ثقات ، وكلها اوضاع ، ومصطلحات ،  
والفاظ ، نحن إليها في حاجة ماسة ملحة

ومن الأسف كل الأسف أننا نرى كثيرين يتكبرون على حذاق الكتاب ورود اللفظة  
الفلانية او الكلمة الفلانية لخلو المعاجم من ذكرها ، كأن هؤلاء يدعون بان الفاظ المضربة  
كلها وضعت بين دفتي تلك الاسفار ، من غير أن يشذ منها واحد ، أو يفر منها حرف . وهذا وهم  
شنيع لأننا نعلم ان أرباب تليكم الدواوين صرّحوا تصرّحاً لا شبهة فيه ، ان ما دونوه  
ليس كل ما ورد من كلام الأئمة الأقدمين . فقد جاء في المزهري ما هذا نقله بحروفه :

« قال بعض الفقهاء : كلام العرب لا يحيط به إلا نبي . قال ابن فارس : « وهذا كلام  
حريّ ان يكون صحيحاً ، وما بلغنا عن أحد ممن مضى انه ادّعى حفظ اللغة كلها . فأما الكتاب  
المنسوب الى الخليل ، وما في خاتمه من قوله : « هذا آخر كلام العرب » فقد كان الخليل أورع  
وأبقى لله تعالى من ان يقول ذلك » — قال السيوطي : وهذا الذي نقله عن بعض الفقهاء ،  
نص عليه الامام الشافعي ، رضي الله عنه ، فقال في أول الرسالة : « لسان العرب أوسع الألسنة  
مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلم انه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي . ولكنه لا يذهب  
منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه » . وقال ابن فارس في موضع آخر :  
« اعلم ان لغة العرب لم تنته اليها بكليتها ، وان الذي جاء عن العرب قليل من كثير ، وان كثيراً  
من الكلام ، ذهب بذهاب أهله والله أعلم » آه ( راجع تاج العروس ١ : ص ٧ )

٣ . إفساد كتاب العصر لمعاني بعض الألفاظ

ان المعاصرين من أدبائنا ، أفسدوا معاني بعض الكلم ، ويجري وراءهم جماعات من  
الكتاب والمؤلفين والصحفيين والشعراء ، ونحن نذكر بعض الشواهد

#### أ . الزيت

الزيت عند العرب ، لا يقال إلا لما يعصر من الزيتون ليس إلا . وأما اليوم فان فريقاً  
من الكتبة يستعمله لغير ما يعصر من النبات المذكور ، إذ أطلقوه على النفط او البترول ، فقالوا  
زيت البترول ، وزيت النفط ، وزيت الحجر ، وزيت النباتات ، وزيت الخروع ، وزيت السمك  
الى نظائرها مما لا حصر له : ونصّ الشارح واضح إذ يقول : « الزيت دهن معروف ، وهو  
عصارة الزيتون . قال ابن سيده <sup>(١)</sup> : « وفي الأساس : هو مخ الزيتون : والزيتون شجره <sup>(٢)</sup>

(١) وفي الاصل المطبوع : سيدة بهاء منقوطة باثنتين وهو خطأ (٢) وفي الاصل المطبوع : شجرته وهو خطأ



واحدته زيتونة . وقيل : الزيتون ثمره<sup>(١)</sup> . وأطلق على الشجر<sup>(٢)</sup> مجازاً . اهـ  
ولم نجد أحداً من الفصحاء الأقدمين سُمي زيتاً غير دهن الزيتون . اللهم إلا دهن بزر  
الكتان ، فأنهم سموه «زيتاً حاراً» لكنهم لم يتجاوزوه .

فمن استعمله لغير الزيتون صاحب محيط المحيط فقد قال في مادة ( زيت ) : « الزيت :  
دهن الزيتون ، وهو المراد عند الإطلاق ، فإن أريد غيره ، قيّد بالإضافة ، كزيت الخروع  
وزيت السمك ، أو بالوصف كالزيت الحار أي زيت<sup>(٣)</sup> الكتان ج زُبوت » اهـ

وقد نقل هذه العبارة على طولها صاحب أقرب الموارد والبستان وغيرها ولم ينسبها إلى  
صاحبها فقد غلط جميعهم وعلمنا سائر الكتّاب والمؤلفين وأصحاب المقالات الصحفية  
فاستعمل الزيت للدهن من لغة عوام الشام والا فان أهل العراق يقولون : دهن الخروع  
ودهن السمك متابعة للأقدمين من هذه اللغة الشريفة . قال في بحر الجواهر : « دهن الخروع :  
حار يابس » . ولم يقل زيت الخروع . وأما دهن السمك فواضح أنه لا يقال فيه زيت السمك  
إذا لا زيت في السمك . والدهن يكون في جميع الحيوانات<sup>(٤)</sup>

على أنه ورد في بحر الجواهر هذه العبارة في مادة زيت وهي : « الزيت ، بالفتح ، هو  
دهن الزيتون . قال جالينوس : كل ما كان من الأدهان يعصر من غير الزيتون ، فإنه يسمى  
زيتاً<sup>(٥)</sup> بطريق الاستعارة » . اهـ — وجوابنا عن هذا : أن جالينوس ليس بحجة في كلام العرب  
ولا جرم أن ناقل العبارة هو أحد المترجمين والا فما أطلقه على الزيت من باب التوسع الذي  
لم يعرفه الفصحاء الا من باب التساهل والتسامح العظيمين

ومن سمي دهن الحجر زيتاً — وهي تسمية مخطوء فيها — نقلة التوراة الى العربية .  
فقد جاء في ثنية الاشتراع ( ١٣ : ٣٢ ) من طبعة جمعية التوراة البريطانية والاجنبية ) : « أركبه  
على مرتفعات الارض ، فأكل ثمار الصحراء وأرضه عسلاً من حجر ، وزيتاً من صوان الصخر » —  
وفي الترجمة الموصلية الدومنيكية ( ١٣ : ٣٢ ) : « أركبه على قواقم الارض ، فأكل ثمار الصحراء  
وأرضه عسلاً من حجر وزيتاً من صوان الصخر » — وفي الترجمة اليسوعية البيروتية ( ١٣ :

(١) وفي الاصل ثمرته وهو غير فصيح (٢) وفي الاصل « على الشجرة » وهو غير صحيح  
(٣) كذا في الاصل المطبوع . والصواب : زيت بزر الكتان . وإن كان قد يجوز تعبيره ذاك من باب  
التوسع والتساهل ، لكن الصحيح هو هذا (٤) أنكر جماعة جمع الحيوان على حيوانات وهو وارد  
في كلام الفصح الكتّاب أي الجاحظ . فقد جاء في كتاب الحيوان ٣ : ٢٦٥ من طبعة الباني : « النشرة  
والنسيم الذي يحيي جميع الحيوانات ٧ : ١١٠ : ١١ والنزاج من اصناف الحيوانات انما فايها طلب الذرة  
(٥) وفي الاصل المطبوع « زيت » وهو على سبيل الحسابة والتجريد عن الاعراب



٣٢ « اركبة على هضاب الارض ، فأكل من ثمار الصحراء وارضعه عسلاً من الصخر ، وزيتاً من صوان الجبلود »

فهذه النسخ الثلاث ذكرت ( زيت الصوان ) وليس للصوان زيت . فلا جرم ان هذه الترجمة سيئة . وتزيد على ما تقدم ان ابن البيطار لما ترجم لفظة البترول قال في « بطرولون » : « مناه باليونانية دهن الحجر وهو النفط » ، لكن الطبعة المصرية كثيرة الاوهام فطبعت بطولون في مكان بطرولون

فالدهن يصح على كل ما يخرج من الجماد ، والنبات ، والحيوان ، . فقد رأيت تعريب البترول وانه دهن الحجر ولم يقل زيت الحجر . — وقالوا في النبات دهناً ايضاً . قال القاموس في تعريف الخطار : « والخطار ككتان : دهن يتخذ من الزيت بأقاييه الطيب » . وقالوا : دهن القطن ودهن الورد ودهن اللوز ودهن الخروع ( بحر الجواهر ) ، ولم يقل احد في هذه الأدهان زيت القطن ولا زيت الورد ولا زيت اللوز ولا زيت الخروع  
واما الدهن في الحيوان فأشهر من ان يذكر ، فقد قال اللغويون : تحرط الطائر : أخذ الدهن من مدهنيه بزماكه ( القاموس ) وهناك شواهد تملأ مائة صفحة من صفحات هذه المجلة

### بُ الملوكي أفصح من المللي

والكتاب المعاصرون يفسدون اللغة العدنانية على وجه آخر ، فأنهم يحاولون ان يغلبوا القياس على السماع . فلقد اشتهر عند الأقدمين نسبة ( الملوكي ) الى الملك ، ( لا المللي ) بتحريك الميم واللام . والسبب ان هذه النسبة الاخيرة تلبس بالنسب الى الملك ، لهذا الروح السعائى ، أو الى الملكة بمعنى الطبيعة ، ولهذا فضلوا ان يقولوا ( الملوكي ) وقد اشتهر بهذه النسبة ( التصريف الملوكي ) لكتاب وضعه ابن جني في التصريف — وقال الجاحظ ( في كتاب الحيوان طبعة الباني ١ : ٢٨٣ ) : « ان سهره بالليل ، ونومه بالنهار خصلة ملوكية » — ولم يقل ملكية . — وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب ( ص ٢٠٢ ) : « وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية » — وقال ابن خلدون في مقدمته ، في كلامه على الوزارة ص ٢٣٦ من طبعة بيروت المشكولة ) : « وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية »

وأما القلقشندي فلم يستعمل في صبحه الا ( الملوكي ) فقد جاء في ٢ : ١٢٥ الآلات الملوكية وأعاد هذه النسبة عشرات وعشرات . ونحن لا نريد أن نستشهد بأقوال من استعملها في كلامه فهم لا يحصون . ولم تستعمل ( المللي ) الا في هذا العصر ، فلا جرم ان السماع أعلى من القياس . — قال الأزهرى في ( التهذيب ) في مادة ( ع بد ) : « قال الليث : اعبدني فلان



فلاناً، أي ملكي إياه. والمعروف عند أهل اللغة: «عبدتُ فلاناً، أي استعبدته. قلت: ولست أنكر جواز ما قاله الليث، أن صح لثقة من الأئمة، فإن السماع في اللغات أولى بنا من خبط المشواه، والقول بالحدس واتباع قياسات لا تُطَرَّد» اهـ

وجاء في التاج في مادة (ح ل ل): «حل من احرامه يحل حلالاً وحلالاً، وأحل: خرج منه، فهو حلال لا حال وهو القياس، لكنه غير وارد في كلامهم بعد الاستقراء فلا ينافي أن القياس يقتضيه، لأنه ليس كل ما يقتضيه القياس يجوز النطق به واستعماله، كما علم في أصول النحو. وهناك طائفة يجوزون القياس مطلقاً وإن سمع غيره والمعروف خلافه» اهـ

واعتماداً على أن السماع خير من القياس، اعترضتُ على وصف مجمع فؤاد الأول «بمجمع اللغة العربية الملكي» في أول تسميته. فقبل لي: أن الأمر الملكي (كذا) صدر بهذه الصفة، فلم يمكن تغييره (كذا). أما اليوم فصار يسمى (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) فاعتدلت الأمور ج. لا تجمع غيور على غيورين بل على غُيُور وتجمع زبون على زُبُن

وما أفسده كُتُاب العصر جمع غيور على غيورين وهذا لا يجوز، لأن لا مؤنث له بالهاء، وما كان كذلك لا يجمع جمعاً سالماً في المذكر ولا في المؤنث بل يقال (غُيُور) في كلا الجنسين قال في اللسان في مادة (ك ف ر): «رجل كفار وكفُور: كافر. وانثى كفور أيضاً وجمعهما كفُور [بضمين] ولا يجمع جمع السلامة، لأن الهاء لا تدخل في مؤنثيه، إلا أنهم قالوا: عدوَّة الله وهو مذكور في موضعي». انتهى

ومن غريب تصرفهم في الجمع وفسادهم لكلام العرب الصميم جمعهم (زبون) على (زبائن) والزبون في كلام المولدين المعامل. قال في شرح مقامات الحريري (ص ٦٦ من طبعة دساسي ١٨٤٩) «الزبون هو الغبي الذي يُزِن ويغبن، وهو من باب ضبوط وحلوب، في أن الفعل مستند إلى النسب مجازاً كما في قوله: إذا ردَّ عافي القدر من يستعيرها. ومن أمثال المولدين: الزبون يفرح بأدنى شيء، يعني المعامل يفرح بأقل شيء. وفي لغة أهل البصرة: الزبون هو المشتري كما في المثل» انتهى المراد من إirاده. فعلى هذا يكون جمع الزبون: زُبُنًا. أما الزبائن فجمع زبون للثاقفة الدفوع، كما جمعوا حلوباً على حلائب. فانظر كيف يفعل جهل القواعد العربية في خلط الالفاظ ومعانيها إذ جاهل القاعدة يجعل الرجل المعامل ثاقفة دفوعاً فيحوِّل أخاه ويصيره حيواناً أنثى. فياله من جهل!

ومثل هذا التصرف السيء لا يحد ولا يعد. فمن واجب المعاجم أن تنبه على الغلط وعلى اصلاحه د. النضوج لم يأت بمعنى النضج

وما وضعوه من عندهم قولهم (النضوج) وهم يريدون النضج مصدر نضج الثمر بمعنى أدرك



وطاب أكله ، فظنوا أنه فعل لازم وأغلب ما كان كذلك يأتي مصدره على فعول ، مثل فعل قعوداً وجلس جلوساً وصعد صعوداً الى نظائرهما ، لكن جهلوا أن المصادر سماعية في أغلب الأحيان فيجب أن يتحاشى استعمال هذا المصدر الوارد على فعول ونحن لا نريد أن نطيل النفس في هذا الموضوع لاتساعه وامتداده في متنوع المناحي فنجتزئ بهذا القدر ، في منزلة مثال لا غير

#### ٤ . إفساد معاجم العصر لمصطلحات الأقدمين

أدخل الناطقون بالضاد في معاجمهم ، جميع أسماء المذاهب التي دخلت في مجتمعهم . وكذلك فعل أهل الغرب ، فانك تجد في دواوين مدارسهم ذكر المسيحي والمسلم واليهودي والكاثوليكي والبروتستاني الى نظائره . وكذلك فعل لغويو العرب ، فقد ذكروا السني والشيعة والرافضي والأباضي الى غيرهم ، ولما جاء النصاري ووضعا معاجمهم العربية لم يدققوا النظر في تصحيح تلك الفرق الدينية الاسلامية وأسماء أصحابها . ونحن نذكر مثلاً واحداً بين أمثال لا تحصى كثرة قال صاحب محيط المحيط في مادة ( زي د ) : « الزيدية : فرقة من الشيعة وهم المنسوبون الى زيد بن علي بن زين العابدين . وهم ثلاث طوائف : الجارورية ( كذا براءين ) والسليمانية والبتيرية ، أصحاب بئير الشومي <sup>(١)</sup> » اه . — فنقل هذه العبارة صاحب أقرب الموارد ولم يمزها الى المنقول عنه فقال : « الزيدية : فرقة من الشيعة وهم المنسوبون الى زيد بن علي بن زين العابدين وهم ثلاث طوائف : الجارورية والسليمانية والبتيرية أصحاب بئير الشومي <sup>(١)</sup> » اه ثم نقلها صاحب البستان ، فكتب في معجمه : « الزيدية فرقة من الشيعة وهم المنسوبون الى زيد ابن علي بن زيد ( كذا بدال في الآخر ) العابدين . وهم ثلاث طوائف : الجارورية والسليمانية والبتيرية أصحاب بئير الشومي <sup>(١)</sup> » اه

وصواب العبارة : « الزيدية فرقة من الشيعة ، وهم المنسوبون الى زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، وهم ثلاث طوائف الجارودية ، والسليمانية ، والبتيرية ( بضم الباء واسكان التاء المثناة فراء مكسورة فياء فهاء ) أصحاب الأبر النواء ( راجع الملل والنحل للشهرستاني والفصل في الملل والاهواء والنحل ، لابن حزم الأندلسي ، ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي الأشعري ، ورجال السكسي ، ومنتهى المقال ، وفرق الشيعة ، والتهانوي ودائرة المعارف للبستاني نفسه في مادة زيدية )

فأنت ترى ان واحدهم إذا كبا ، كباكل من تأثره وتعبه من دون تفكير وتدبير وروية .

(١) ليس في خلق الله من يعرف باسم ( بئير الشومي ) ، فلا جرم انه تصحيف ( الابتر النواء ) على ما هو مدون في أسفار القوم



ولهذا وجب التدقيق في كل ما يكتب . والأحسن إهمال أسماء الفرق والشيوع والطوائف إذا بادت ولم يبق لها اثر ، ولا تدوّن إلا في المعاجم الكبرى ، كما يفعل أهل الغرب ، أما إذا كانت باقية الى عهدنا هذا فتقيد في الصغرى والكبرى معاً كما هي العادة الجارية في جميع المعاجم وفي جميع البلاد وفي جميع اللغات ، على ما هو متعارف عندهم

### ٥ أصول الأعجميات وردّها اليها ردّاً صادقاً

نما يجب ان ينتبه له ، تصحيح كلام الأقدمين لما ذهبوا اليه من أصول بعض الكلام الدخيلة ، فقد اختلفوا فيها اختلافاً عجيباً ، ولا بدّ من ان تردّ الى الأصل الحقيقي ، ولا يبقى هناك اضطراب . ونحن نذكر هنا بعض الشواهد للتشيل . فمن ذلك :

#### أ . القومس

قال في التاج : « القومس كجوه ، الأمير بالنبطية . نقله الصاغاني عن ابن عباد... وقيل : هو الأمير بالرومية » ام . — قلنا : لنا على هذا الكلام ملاحظتان : الأولى : لو كانت هذه الكلمة من النبطية لاختتمت بالألف على ما هو متعارف عندهم . — والثانية ان الكلمة « رومية » والرومية وردت عند السلف بمعنيين ، بمعنى اللاتينية وبمعنى اليونانية ، ففي اي لغة وردت كلمتنا ( القومس ) ؟ هل في اللاتينية ام في اليونانية ؟ ، فكان يجب ان يقال هنا باللاتينية درهماً للبئس . فهي في هذه اللغة Comes ، واصل معناها عندهم ( الرفيق ) لأنه كان يرافق الملك ، ثم خص بالامير

#### ب المرّي

قال في التاج : والمرّي ، كدرّي : ادام كالكامخ يؤتدم به ، كأنه منسوب الى المارارة . والعامّة تخففه . وأنشد ابو الفوت

وام منواي لباخية وعندها المرّي والكامخ

وقد جاء ذكره في حديث أبي الدرداء . وذكره الازهري في الناقص انتهى

قلنا : يرى في تأويل السيد مرتضى تعسف ظاهر . لأن المرّي ليس فيه مرارة حتى ينسب اليها . وتخفيف العامة هو الصحيح ، لأن الكلمة يونانية النجار وهي Almuris ، حذفوا الحرف S من آخرها ، لأنه من علامات الاعراب عندهم . واعتبروا AL أداة تعريف ، كما فعلوا في ( الماس ) ، فقالوا : ( ماس ) ، وفي ألوة : ( لوة ) ، وفي الكسندر ( اسكندر ) ، وفي ( البشع ) : ( يشع ) الى غيرها وهي كثيرة ، نحار لها العقول



## ج . القُرُزُوم

جاء في التاج : « القُرُزُوم ، كمصفور : لوح الإسكاف المدوّر ونشبه به كركرة البعير مثل القُرُزُوم ، لقنان عن ابن السكيت . والجمع قرازيم عن ابن الاعرابي . وقال ابن دريد ، وهو بالقاء أعلى كذا في الصحاح ... وما يستدرك عليه : القُرُزُوم : الازميل . نقله ابن بري عن ابن القطاع . وإيضاً المِرْط والمِرْزُور بلغة عبد القيس . قال ابن دريد : واحسبه معرباً » انتهى قلنا : الرواية الصحيحة لهذه الكلمة هي (الفرزوم) بالقاء . والكلمة يونانية أي Perizôma وهي كذلك في اللاتينية . وأما روايتها بالقاف فهي من تصحيف النسخ ، أو على لغة من لغات بعض القبائل إذ يصيرون القاء قافاً . فقد قالوا : الزحليف في الزحاليق ، والفصم في القصم ، ونقر الظبي في نقر ، والنفض في النقص ، بالكسر فيهما ، والحِسْفِيل في الحِسْفِيل ، وهناك الفاظ لا تحصى على هذه الأمثلة

## د . الأسطِـرلاب

وجاء في القاموس في مادة (ل و ب) : « واللاب ... رجل سطر أسطراً وبنى عليها حساباً ، فقل أسطِـرلاب ، ثم مُزِجاً ونزعت الإضافة . فقل : الأسطِـرلاب معرفة والاصطِـرلاب لتقدم السين على الطاء » انتهى . والمعروف عند صبيان المدارس العصرية أن الاسطِـرلاب كلمة يونانية Astrolabos ومعناها : أخذ النجوم بمعنى مراقبتها بآلة . فأين هذه الحقيقة من تلك الحرافة . وإذا أردنا استقصاء ما جاء من هذا القليل ، فنضطر إلى وضع مجلدات ، لأن الأقدمين منا ما كان يهمهم هذا الأمر وهم معذرون ، لأنهم جاوروا لغويي الغربيين في هذا الميدان ، فان تصرفهم في العريبات وتأويلها في نهاية الغرابة ، بل إنه مما يبعث على الاستغراب . وهناك الفاظ لا تحصى لم ينبهوا على عجمتها ، ولا على اللغة المنقولة عنها ، أو اذا نبهوا ، ذكروا أنها فارسية ، وهي يونانية أو هي إيرانية ، وقالوا عليها أنها رومية أو لاتينية . فجميع هذه التصحيحات يجب أن تغاد إلى نصابها . والذي يلقي نظرة على معاجم الغربيين يرى أنهم يذكرون أصل اللفظة بعد أن يدونوها في موطنها ، لأن هذه الإشارة مهمة جداً

## ٦ . الخلاصة

ويتحصل من هذا كله أن معاجمنا في حاجة إلى اصلاح وهذا الاصلاح لم يلتفت إليه جميع من وضع هذه الدواوين في المئات الثلاث الأخيرة . وجميع من ألفها أناس نقله ، وربما نقلوا بلا فكر ولا روية ، إذ جل غايتهم أن يصنفوا أسفاراً ليقال عليهم أنهم ألفوا كتباً أما مجمع فؤاد الأول فقد عقد النية على تدقيق النظر في هذا الموضوع ، لكن متى نخرج إلى الناس تلك المعاجم الثلاثة ، فاعلم عند صاحب الغيب



# الطب الجديد

للدكتور حسن كمال

١- (العلاج بالزمهرير : Cryotherapy) — المعروف ان رفع حرارة الجسم الى حوالي ٤١ سنتجراد يشفي عدة حالات عصبية وبولية وغير ذلك والمعروف ايضاً ان هذه الحمى الصناعية أو العلاجية توجد في الجسم بنقل عدوى الملاريا أو التيفوس الخفيف اليه أو باستعمال الأمواج الكهربية الخاصة . وتمتاز الطريقة الاخيرة بأنها تجعل رفع درجة الحرارة ومدة الارتفاع رهن ارادة الطبيب المعالج خلافاً للطريقتين السابقتين . وقد شفي بهذه الطريقة آلاف المرضى المصابين بشقي العلل

كل ذلك معروف ومتبع في كثير من المعاهد . اما الجديد من هذه الناحية فهو العلاج بالطرف الآخر من الموضوع ونعني بذلك الزمهرير وقد تمكن البعض بواسطته من خفض حرارة الجسم الى دون الحد الطبيعي بكثير . ولعل أول من استعمل هذا النوع من العلاج هما الاستاذان (نبل فاي ولورنس سميث) من اطباء فيلادلفيا باميركا وذلك في حالات السرطان . استعان هذان الطبيبان بالثلجيات والآلات المبردة في العلاجات الموضعية فتمكننا من خفض حرارة بعض اجزاء الجسم الى درجة ٧،١٥ سنتجراد وحرارة الجسم عموماً الى درجة ٣٢ر١٢١ سنتجراد وتمكننا في الحالة الاخيرة من احداث نوع من الاستسكان (hibernation)

وقام اخيراً احد عشر موظفاً بمستشفى Lenox Hill بنيويورك بعمل تجارب علاجية بهذا الاستسكان الصناعي أو العلاج بالزمهرير مستعملين لذلك حجرة خاصة ذات سريرين بها آلة لنكيف الهواء تخفض درجة الحرارة الى ٣٢ر١٢١ سنتجراد

وقد توصلوا الى ازالة الألم المبرح من احد عشر مريضاً بالسرطان من بين سبعة عشر مريضاً فلم تتطلب الحالة اعطاء مخدرات او منومات على الرغم من ان الصفة التشريحية بعدئذ لم تظهر تغيراً يذكر في موضع الاصابة . وأشار هؤلاء الباحثون بالاستمرار في اجراء هذه التجارب على مرضى آخرين بالسرطان وامراض ضخامة الغدد الليمفاوية والتهاب غشاء القلب تحت الحاد ونعاطي المكيفات والامراض الطفيلية بالمنطقة الحارة والجنون المبكر

واتضح للاستاذين (نبل فاي، وسميث) ان هذا العلاج يزهّد المدمنين في الكيفات في هذه



العقاقير . وان هناك حالات لا يصح معالجتها بهذه الطريقة كالمرضى طريحي الفراش والمصابين بفقر الدم الشديد وسرطان المعدة والمصابين بكسور عظام الفخذ والمعرضين للإصابة بذات الرئة ولايجد المعالجون بهذا العلاج مفضلاً من الاستمرار فيه لانه يفقدهم جزءاً كبيراً من وعيهم محدثاً حالة غيبوبة يقظة ( Coma Vigil ) . وتجب في هذا العلاج العناية بالقرنيتين ومقاومة حالة القلق التي تحدث احياناً باعطاء ( لومنال Luminal ) واقصى ما توصل اليه في خفض الحرارة بالجسم هو ٨١.٥ درجة سنتجراد . لكن ينتظران يتوصلوا الى خفض حرارة الجسم الى ٢٧° سنتجراد . ويلاحظ ان السرطان يبدأ في الانكماش عند درجة ٨١.٥ سنتجراد وهي درجة لا تضر انسجة الجسم كثيراً وعلى كل حال فهذا علاج يجب استعماله بحذر وعناية حتى تثبت فائدته المرجوة منه

٢ - الرسام الكهربى للمخ واستعماله في الصرع الوراثي : — أنجب البحث الاخير في موجات المخ الكهربائية نتائج تبشر بالخير من ناحية الصرع الوراثي كما هو واضح من اجاث الاطباء ( لينوكس وجيس ) في المجلة الطبية الاميركية ( ص ١٠٠٢ عدد ١١٣ سنة ١٩٣٩ ) والمعروف ان حصول الوراثة في احوال الصرع يقع بنسبة  $\frac{1}{3}$  بين المصابين بالمرض لكننا لانزال نجهل طريقة توارث هذا المرض . وقد بحث الاطباء المذكورون ١٣٨ قريباً لسبعة وستين مريضاً بالصرع مصابين بعدم انتظام موجات المخ الكهربائية واتضح من البحث ان ٥٤٪ من هؤلاء الاقارب موجاتهم غير طبيعية وان ١١٪ موجاتهم مشكوك في طبيعتها . وباعادة هذا البحث على اقارب اشخاص اصحاء وجد ان ٦٪ منهم فقط عندهم موجات كهربية مخية غير طبيعية و ١٢٪ مشكوك في طبيعتها موجاتهم



هذه الطرق بحقن الطفل بمصل ناقه من الحصبة او بمخلصة المشيمة (Globulins) او بدم أحد والديه . فاذا كان الحقن مبكراً امتنعت الاصابة بالمرض بضعة أسابيع، أما اذا تأخر الحقن فان الطفل يصاب بإصابة خفيفة تقيه مدى الحياة . وهذا النوع من الحصانة غالي الثمن متعذر الحصول لكن منذ سنتين تمكن بلوتز (Plotz) من زرع ميكروب الحصبة ثم تلاه ريك (Rake) مع غيره وزرع الميكروب ولطف حديثه (راجع مجلة العلم Science 1940 ص ١٠) واستخرج منه طعاماً يعطى حقناً تحت الجلد او تقطيراً في الأنف . ولما عرض الأطفال الذين طعموا بهذا الطعم للاصابة بالحصبة لم يصابوا بها . وهذه نتائج تبشر بنجاح عظيم سيكون له تأثير بعيد في الطب الوقائي اذا ما صحت تجاربه

٤ — (عامل الشيب) : لعل أثقل ضيف على الانسان بعد الأربعين هو الشيب . ذلك لأنه نذير الهرم كما انه عنوان الكبر . هو عنوان واضح يجب على صاحبه حذره كما يجب على الغير احترامه . وفي كل ذلك تكليف وبعد عن نزعات الشباب . وقد يما قالوا

ألا ليت الشباب يعود يوماً فاخبره بما فعل المشيب

هذا أخصر شرح للشيب . وقد حاول القوم بشتى الطرق اخفاءه فابتكروا الصبغات وبالفوا في مفعولها وجمعوا من ذلك مالا وفيراً . لكن مهما تبطنه تظهره الأيام . وقد استوقف نظري أخيراً بحث في هذا الموضوع بالمجلة الطبية الانكليزية عدد ٢٨ سبتمبر ١٩٤٠ يتلخص في ما يلي : — معلوم ان الفيتامينات هي مواد ضرورية للحياة ولوقاية الجسم من الأمراض . وهي توجد في كثير من الأغذية من حيوانية ونباتية . وهي على عدة أنواع تعرف باسم ا، ب، ج، د، هـ الخ كل بحسب المرض الذي يقي منه . لكن اتضح ان الفيتامين ب هو أيضاً مجموعة عدة فيتامينات فرعية سميت كالآتي ب ١ وب ٢ وب ٣ وب ٤ وهكذا . ففي البحث السالف الذكر لوحظ ان هناك نوعاً من الفيتامين ب سمي ب ١٢ لا تزال نجهل تركيبه الكيميائي اذا منع من غذاء الفيران سبب لها الشيب وتوصل الاستاذ (مورجان) وغيره الى ان هذا النوع من الفيتامين ب موجود بالكبد والخميرة . واستمر الاستاذ مورجان في ابحائه حتى توصل الى ان قلة الفيتامين ب ١٢ يحدث بالجسم تغيراً بالعدد كالفدة الدرقية وان وجوده في الغذاء لا يصحبه هذا التغير، وقد لوحظ ان الفيران التي غذيت بغذاء خال من هذا الفيتامين ظهرت عليها بقع شيب في الرأس ما بين الأذنين وفي بقعة بمؤوسط الظهر وذلك في خلال ثمانية أسابيع . وان اضافة عشرة جرامات من الكبد الطازج يومياً الى الغذاء يكفي لارجاع السواد الى الشعر من جديد . وامكن أيضاً بهذه الطريقة ابعاد الشيب واحداث اسوداد الشعر في أرنب هندي واحد وثمانية كلاب صغيرة وثمانين صغيرين وعلى ذلك فهناك أمل لمن لا يرغبون في وقار الشيب او على الأقل لمن لا يريدون مفارقة الشباب . فيا لها من بشرى !



# مناجاة

لقواد بليبل

أنا في الحبّ أخلصُ الناسَ نيّةً فاشمليني بنظرةٍ يا سنيّة  
يا عروسَ الخيالِ ، يا فجرَ إلهامِي ، ودنيا أحلامي الذهبية  
يا ملاكاً من عالم الغيبِ رفماً فأعلى خاطري ونفسي الشقية  
يا غذاءَ القلوبِ ، يا منهلَ الروحِ ، يا ذروةَ المعاني السمية  
يا حياةً تدبّ ملءَ شرايبي ، يا خرةَ الهوى الروحية  
يا سماءَ الجمالِ والأدبِ العالِي ، يا جنةَ الخيالِ الزكية  
أنتِ! ... ما أنتِ غيرَ شباةِ الحبِّ ، وأغنيةِ الهوى الشعرية  
أيُّ سحرٍ أحبُّ من سحرِ عينيكَ ، ومن نلِّكمُ المجاني الشهية؟  
زهرةٌ أين من وسامتها الزهرُ بألوانه الزواهي البهية  
أطلعتها الحياةُ في روضةِ الحسنِ ، على رأسِ ربوةٍ علوية  
حوّمت فوقها الطيورُ تناغيها بأشهى ألحانها الغزلية  
وانحنى فوقها الصباحُ يصايبها بأبهى أنواره العسجدية  
ومشى في ركبها البدرُ ولها نَ ، وحفّت بها قلوبُ البرية  
وتنحت عن عرشها الشمسُ إجلالاً لشمسِ الوسامة الانسية  
أيهِ يا شمسَ خاطري ورجائي أشرقي في سماءِ نفسي الغوية  
طهرها بنارِ حبِّك بما نثرت فوقها غيومُ الخطية  
وأثري هناك في جانبِ القلبِ مكاناً للطهرِ فيه بقيه  
واعتلي عرشهُ وكوني عليه يا ابنةَ النورِ ربّةً سرمدية  
لا تخافي بهِ المنية ، ما في معبدِ الشعرِ والهوى من منية  
معبدٌ خالدٌ على الدهرِ ما غنّى هزّارُ وسجّعت قمرية  
سيظلُّ الوجودُ يُنشدُ مَعنَا ، ويسروي فيمُ الزمانِ رويّة  
أوقدي من شموعِ حبِّك ما شئتِ وطوفي بساحيه القدسية



إِنَّ فِيهِ لَهَيْكَلًا كَمِ نَحْرِنَا فِيهِ لَفَنٌ وَالهوى من ضحية  
 وَتَقَرَّبْتُ بِالْقَرَائِشِ حَتَّى صَبَغْتُ أَرْضَهُ الدَّمَاءِ الذِّكْيَ  
 فَاجْعَلِي مِنْهُ كَعْبَةَ الْفَنِّ وَالشَّعْرِ وَرَمَزَ الْحَبَّةِ الْعُذْرِيَّةِ  
 وَأَدْبِرِي عَلَيَّ مِنْ تَغْرِكِ الْبَسَامِ كَأَسَا بِالْبَابِلِيِّ رَوِيَّةِ  
 تَشْمَلُ النَّارَ فِي عُرُوقِي وَتُنْذِكِي مَا خَبَا مِنْ ضَرَامِ نَفْسِي الْفَتِيَّةِ  
 خَمْرَةٌ تَحْمِلُ السَّكَارَى عَلَى أَجْنَحَةِ الْحُبِّ فِي سَمَاءِ نَفْيِهِ  
 عَصْرَتَهَا (فِينُوسُ) مِنْ كَرَمَةِ الْحُسْنِ وَفِيضِ الْمَشَاعِرِ الْعَبْقَرِيَّةِ  
 فَتَعَالِي رَوِّي أَوَامِي بِكَاسٍ مِنْ رَحِيقِ الْمِرَاشِفِ الْقَرْمَزِيَّةِ  
 أَنْتِ أَمْنِيَّةُ الْفَوَادِ وَمَا لِي غَيْرَ يَوْمِ الْإِقَاءِ مِنْ أَمْنِيَّةِ  
 لَا تَظَنِّي بِي الظُّنُونُ فَأَنْتِي لِي نَفْسٌ عَلَى الدَّانِيَا أَيْيَّةِ  
 أَوْ تَحَالِي الْبُعَادَ يَحْجُبُ عَنِّي ذَلِكَ الْوَجْهَ وَالسَّمَاتِ السَّنِيَّةِ  
 نَحْنُ قَوْمٌ لَنَا مَشَاعِرٌ، لَكِنْ غَيْرُ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ السُّفْلِيَّةِ  
 وَقُلُوبٌ بِالْحُبِّ تَخْفُقُ وَلَهْجَى وَعْيُونٌ تَرَى السَّمْعَانِي الْخَفِيَّةِ  
 كَمْ سَلَكْنَا إِلَى سَنَّاكَ سَبِيلًا وَرَكَبْنَا مِنَ الْحَصَنِ مَطِيَّةِ  
 وَتَخَذْنَا مِنَ النَّسِيمِ رَسُولًا وَبَعَثْنَا مَعَ النُّجُومِ نَجْمَةَ  
 وَاسْتَعْرْنَا مِنَ الطُّيُورِ جَنَاحًا وَنَقَلْنَا عَنْ شَدْوِهَا أَغْنِيَّةَ  
 وَرَشَقْنَا مِنَ الشِّقَاءِ كُؤُوسًا لَمْ تَذُقْهَا مِرَاشِفٌ بِشْرِيَّةِ  
 وَقَطَعْنَا مِنَ الْخُدُودِ وَرُودًا أَيْنَ مِنْ حُسْنِهَا الرِّيَاضُ النَّدِيَّةِ  
 وَقَطَعْنَا مِنَ الْوَفَاءِ عُهُودًا أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّهَا مَرْعِيَّةِ  
 سَائِلِي الطَّيْرَ هَلْ تَرْنَمُ إِلَّا بِهَوَانَا عَلَى الْغَصْبُونِ الطَّرِيَّةِ  
 وَخَرِيرُ الْغَدِيرِ هَلْ كَانَ إِلَّا رَجَعُ أَنْفَامِنَا الْعَذَابِ الشَّجِيَّةِ  
 كَمْ شَدَدْنَا إِلَى النُّجُومِ رَحَالًا وَفَكَكْنَا أَغْلَالَنَا الْجَسَدِيَّةِ  
 وَخَلَعْنَا الْجِسْمَ وَهِيَ سَجُونٌ وَنَعْمَنَا بِعَيْشَةٍ الْحَرِيَّةِ  
 وَبَعَثْنَا الْأَرْوَاحَ حَيْثُ أَرَادَتْ، فِي سَمَاءِ مِنَ الْخِيَالِ قَصِيَّةِ  
 إِنَّمَا الْجِسْمُ مُحْبَسُ الرُّوحِ مَا لَمْ تَسْمُ بِالرُّوحِ هَزَّةٌ عَاطِفِيَّةِ  
 مَا شَكُونَا وَكَيْفَ يَشْكُو الْبِلَالِي مَنْ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الشَّاعِرِيَّةِ

دار الازهرام



# الطبيب العربي

ابو عبد الله التميمي المقرسي

لقدري حافظ طوقان

الطب من العلوم التي عني بها العرب فكانت موضع اهتمام علمائهم وخلفائهم فلقد عكفوا على دراسة ما أخرج به اليونان والسريريان والكلدان في مختلف بحوثه ، وأصلحوا بعضه ثم زادوا عليه زيادات مهمة يقول عنها كتاب تراث الاسلام : « إن العرب زادوا على الطب اليوناني كثيراً وزياداتهم فيه مبنية على التجربة — أي أنها كانت عملية — » وهذا يرد رأي القائلين بأن علوم العرب كانت نظرية مبنية على الأسلوب الغيبي . ولقد ظهر لهم فيه مؤلفات نفيسة كالقانون لابن سينا وكتاب الحاوي للرازي وكتاب التعريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي . ولقد استفاد الأفرنج من هذا الكتاب في نهضتهم الحديثة فائدة كبرى كما استفادوا من بعض المؤلفات الطبية العربية التي بقيت تدرس في جامعاتهم حتى القرن الثامن عشر للميلاد . وما يدل على تقدير الغربيين للطب العربي ورجاله ان جامعة (برنستون) الأميركية قدّرت خدمات الحضارة الاسلامية وأفضاها على الانسانية والثقافة فراحت تخصص أنفم ناحية في أجمل ابنتها لما أثر علم من أعلام الحضارة الخالدین — الرازي — كما راحت تنشئ داراً لتدريس العلوم العربية والبحث في المخطوطات واخراجها ونقلها الى الانكليزية حتى يتمكن العالم من الوقوف على أثر التراث الاسلامي في تقدم الطب والعلم وازدهار العمران ينبغ في الطب كثيرون وتصفح بسط لكتاب طبقات الأطباء وتراجم الحكماء وكشف الظنون تثبت ان الذين زاولوا صناعة الطب والصيدلة كثيرون جداً ومن أقطار مختلفة وقد كان لهم نظام مخصوص يسرون عليه ورئيس يمنحهم ويحيز المقتدر منهم وبلغ عدد الأطباء في زمن المقتدر بالله في بغداد « ... ثمانماية رجل ونيقاً وستين سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره في التقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان ... »

ومن الذين نبغوا في الطب في فلسطين في القرن الرابع للهجرة ابو عبد الله محمد بن أحمد



ابن سعيد التيمي . كان مقامه في القدس ونواحيها وله معرفة جيدة بالنبات وما يتعلق بالعقاقير ، ويقول عنه ابن أبي أصيبعة « ... وكان متميزاً في معرفة صناعة الطب والاطلاع على دقائقها وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة ، واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق وتركيبه وركب منه شيئاً كثيراً... » . « كان جده طبيباً وقد صحب أحمد بن أبي يعقوب مولى ولد العباس ، وارتحل محمد أبو عبد الله الى كثير من البلدان يقصد الدراسة والاستزادة من العلوم الطبية وقد امتاز على غيره من معاصريه بمهارته في تركيب الأدوية وحسن اختياره في تأليفها وعنده غوص على أمور من هذا النوع واستغراق في طلب غوامضه ... »

كان صاحبنا من حاشية الحسن بن عبد الله بن طنج حاكم الرملة والبلاد المجاورة ومحل احترامه وثقته « ... وقد عمل له عدة معاجين ولخاخ طبية ودخناً دافعة للوباء ، وسطر ذلك في مصنفاته .. »

ويرى بعض الأطباء ان هذا الدخن الدافع للوباء أوحى الى الأطباء الذين أتوا بعد أبي عبد الله التيمي فكرة استعمال التبخير لقتل الجراثيم

أدرك أبو عبد الله الدولة العلوية عند دخولها مصر وصحب الوزير يعقوب بن كلس وزير المعز والعزیز وصنف له كتاباً ضخماً يقع في عدة اجزاء سماه « مادة البقاء باصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء ... »

واستفاد كثيراً من وجوده في مصر فلقد اجتمع على اطباء كثيرين من أهل مصر والمغرب من الذين قدموا في صحبة المعز ، وجرت بينه وبينهم مناظرات في البحوث الطبية . ولا شك أن هذا قد أكسبه معرفة وأوقفه على معارف الأقطار الاسلامية النائية — وهذا على ما أرى من العوامل التي كانت سبباً في شهرته وذوبوع اسمه والاعتراف بفضله وتفوقه

كان أبو عبد الله ذا روح علمي صحيح مخلصاً للحقيقة ، ولقد دفعه هذا الى الاعتراف بأنه اقتبس بعض الأدوية عن بعض الذين اجتمع عليهم ولازمهم . جاء في كتاب طبقات الأطباء : « وكان (أي أبو عبد الله) قد اجتمع في القدس بحكم فاضل راهب يقال له انبا زخريا بن نوابه وكان هذا الراهب يتكلم في شيء من اجزاء العلوم الحكيمة والطب ، وكان مقبلاً في القدس في المائة الرابعة من الهجرة ، وكان له نظر في أمر تركيب الأدوية ، ولما اجتمع فيه محمد التيمي لازمه وأخذ عنه فوائد وجملاً كثيرة مما يعرفه . وقد ذكر في كتابه مادة البقاء صفة سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وذكر انه نقل ذلك عن انبا زخريا ... »

وكان التيمي من الذين يرون الوهم والاحداث النفسية من الملل التي تؤثر في البدن ومن الأمور التي يجب على الطبيب ان يحسب حسابها ، وعلى هذا كان يسير في معالجة مرضاه برفع الوهم



المسيطر عليهم وتصغير شأن المرض. ويروي حادثة وقعت مع والده يقيم الدليل فيها على الأثر القوي الذي يحدثه الوهم في الانسان. والقصة كما جاءت على لسانه هي : « . . . حدثني والذي رضي الله عنه أنه سكر مرة سكرأً مفرطاً غلب فيه على عقله فسقط في بعض الخانات من موضع عالٍ الى أسفل الخان وهو لا يعقل فحمله صاحب الخان وخدمته حتى ادخله الى الحجرة التي كان يسكنها فلما أصبح قام وهو يحدو جماً ووهناً في مواضع من جسده ولا يعرف لذلك سبباً فركب وتصرف في بعض أموره الى ان تعالى النهار ثم رجع . فقال لصاحب الخان : اني احب في حسي وجماً وتوهناً شديداً لست أدري ما سببه ؟ فقال صاحب الخان : ينبغي أن تحمد الله على سلامتك . قال ثم ؟ قال أوما علمت ما نالك البارحة ؟ قال . لا . قال فانك سقطت من أعلى الخان الى أسفل وأنت سكران . قال ومن اي موضع ؟ فأراه الموضع . فلما رآه حدث به للوفد من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلاً الى الصبر وأقبل يضيح ويتأوه الى ان جاؤوه بطبيب ففحصه وشد على مفاصله المتوهنة جباراً ، فأقام اياماً كثيرة الى ان برىء وذهب عنه الوجع . . . »

\*\*\*

وضع التيمي مؤلفات نفيسة كان لها أثر في تقدم العلوم الطبية ، ومن هذه المؤلفات ما بين لنا انه ركب ترياقاً سماه مخلص النفوس ، وبعد ان ذكر صور تركيبه قال عنه في كتاب مادة البقاء : « . . . هذا ترياق ألفته بالقدس وأحكمت تركيبه مختصراً نافع الفيل دافع اضرار السمومات القاتلة المشروبة والمصبوبة في الابدان بلسع ذوات السم من الافاعي والثعابين وأنواع الحياة المهلكة السم والعقارب وغيرها وذوات الاربع والاربعين رجلاً . . . مجرب ليس له مثيل . . . » وجاء أيضاً في كتاب مادة البقاء وصف لدواء جديد ذكر صورة تركيبه وأسماء مفرداته وسماه « مفاح السرور من كل الهموم » والى أيضاً دواء آخر أطلق عليه مفرح النفس عمله لبعض اخوانه بمصر وذكر صورة تركيبه واسماء مفرداته

وله من الكتب رسالة الى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق الفاروق والنبية على ما بطل فيه من أدوية « ونعت اشجاره الصحيحة واوقات جمعها وكيفية عجنه وذكر منافعه وتجربته » وكذلك له كتاب آخر في الترياق وقد استوعب فيه تكميل أدويته وتجرب منافعها ، وكتاب مختصر في الترياق وكتاب مادة البقاء الذي ورد ذكره والذي صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب ابن كلس بمصر . وله مقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه وكتاب الفحص والاختبار وكتاب « المرشد الى جواهر الأغذية وقوى المفردات والأدوية »

نابلس — قدرى حافظ طوقان





## ترسانة الديمقراطية

ملخص واف لخطبة المستر روزفلت رئيس جمهورية امريكا

## يوميات دولية

- ١ - الحريات الاربع
- ٢ - تايلاندر او سيام
- ٣ - طبرانه القاذفات الامبركية
- ٤ - النفس والمقاومة في شمال افريقية



## « ترسانة الدمقرطة »<sup>(١)</sup>

ليس هذا الحديث بحديث عن الحرب ولكنه حديث عن الدفاع القومي . وذلك لأن الغرض المقدم من أغراض رئيسكم هو اقصاؤكم الآن ، وانصاف اولادكم من بعدكم وحفدتكم بعد ذلك ، عن الاشتباك في حرب لصون الاستقلال الاميركي وجميع المعاني التي يمثلها هذا الاستقلال في نفوسكم ونفسي . اما ونحن نواجه اليلة ازمة عالمية ، فان ذهني يرتد ثمانى سنوات الى الوراء ، الى ليلة كنا نعاني فيها غمار ازمة داخلية . كانت عجالات الصناعة الاميركية قد بدأت تسير متناقلة الى الوقوف والنظام المصري في بلادنا قد عجز عن العمل

واذكر انني عند ما جلست في مكنتي في البيت الأبيض ، أعدت حديثاً اوجهه الى شعب الولايات المتحدة ، تمثلت امام ناظري صور جميع الاميركيين الذين اريد مخاطبتهم . رأيت العمال في المصانع والمناجم والمطاحن ، والفتاة في الدكان ، والتاجر الصغير في متجره ، والفلاح يفلح ارضه في الربيع ، والأرامل والشيخوخ يفكرون في ماذا عسى ان يكون مصير ما وفروه طول العمر وحاولت ان اصور لكتلة الشعب الاميركي العظيم ما معنى « ازمة البنوك » وما تأثيرها في حياتهم اليومية . وغرضي اليلة ان أنهيج النهج نفسه ، مع الشعب نفسه في هذه الأزمة الجديدة التي تواجه اميركا . إتينا قبلنا أزمة ١٩٣٣ بشجاعة وادراك لحقائق الحال ، وسنواجه الازمة الجديدة ، المنظوية على تهديد جديد لسلامة امتنا ، بالروح نفسه

ان حضارتنا الاميركية لم تتعرض مطلقاً منذ جيمستون وليموث روك ( الاشارة هنا الى نزول النازحين الانجليز في اميركا وانشائهم مستعمرة في القرن السابع عشر ) لمثل الخطر الذي تعرض له اليوم

ففي السابع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٠ وقعت ثلاث دول قوية ، اثنتان منها في اوربا والثالثة في اسيا ، اتفاقاً في برلين ، اشتركت فيه في تهديد موجه الى الولايات المتحدة مؤداه انه اذا تدخلت في برنامج التوسع الذي وضعته الدول الثلاث او صدتها عن تحقيقه — وهو برنامج غرضه السيطرة العالمية — فانها تتحد في العمل ضد الولايات المتحدة الاميركية

(١) ملخص واف لخطبة المستر فرنكلان روزفالت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية وهي الخطبة التي أذاعها مساء ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠ من « جانب الموقف في البيت الابيض » وقد أبقيناها بصيغة المتكلم مع ان هذا النص لا يعدو كونه تلخيصاً وافياً



ان سادة المانيا النازيين أوضحوا انهم لن يكتفوا بالسيطرة على الحياة والفكر في بلادهم بل ينوون استعباد أوروبا قاطبة ثم الاستناد الى مواردها للسيطرة على بقية العالم ومن ثلاثة اسابيع صرّح زعيمهم « ان هناك عالمين يقابل احدهما الآخر ». ثم رد في لهجة التحدي على معارضيه فقال : « اتنا لا نستطيع ان نوفق بيننا وبين هذا العالم الآخر ... انني استطيع أن أهزم كل قوة أخرى في العالم ». هكذا تكلم زعيم النازي أي ان المحور لا يكتفي بأن يسلم بأنه من المستحيل قيام سلام نهائي بين فلسفتهم في الحكم وفلسفتنا ، بل يعلن ذلك على رؤوس الاشهاد

ولما كان هذا التهديد صريحاً لا ريب فيه في الوسع القول صراحة وحسباً ان الولايات المتحدة لا حق لها ولا باعث يبعثها على تشجيع الكلام في الصلح حتى يحل اليوم الذي تبدو فيه النية صريحة من جانب الأمم المعنوية انها تخلت عن كل نزعة الى السيطرة على العالم أو غزوه ان قوى الدول المنتصرة ضد الشعوب التي تعيش عيش الحرية مصدودة عن الوصول الى شواطئنا الآن . فقوى الألمانين والايطاليين مصدودة على الجانب الآخر من المحيط الاطلسي بالقوات البريطانية واليونانية والالوف من الجنود والبحارة الذين نجوا من الدول الخاضعة للقوة ومضوا في النضال . واليابانيون في شغل شاغل في آسيا بقوات الصينيين الذين يدافعون دفاعاً جديداً . وفي المحيط الهادىء أسطولنا

ان فريقاً من شعبنا يؤمن نفسه بأن الحروب في أوروبا وآسيا ليست من شأننا . ولكن من المسائل الحيوية التي تهمننا بوجه خاص ان يُصدّ مشرو الحروب في أوروبا وآسيا عن السيطرة على المحيطات المفضية الى نصف القارة الغربي

من مئة وسبع عشرة سنة وضعت حكومتنا مبدأ مونرو ليكون وسيلة للدفاع من كل تهديد يوجه من قبل كل حلف اوروبي الى القارتين الأمريكيتين . وبعد ذلك وقفنا نحرس المحيط الاطلسي وكان البريطانيون جيراننا ولم يكن بيننا وبينهم معاهدة ولا اتفاق شفوي

ولكن كان هناك شعور اثبت التاريخ صحته وصدقه وهو اننا نستطيع بحكم جيراننا ان نسوي كل نزاع يقوم بيننا تسوية سلمية . والواقع أن نصف الكرة الغربي كان خلال هذه المدة بمنحى من الاعتداء من أوروبا وآسيا

هل يمتد أحد صدفاً أنه يجوز أن نخشى الاعتداء ما دامت بريطانيا الحرة قائمة جارة لنا وهي أقوى دولة بحرية في المحيط الاطلسي ؟ هل يعتقد أحد صدفاً اننا نستطيع أن نطمئن اذا كانت دول المحور جاراتنا هناك ؟ فاذا هوت بريطانيا العظمى فان دول المحور تسيطر على قارات أوروبا وآسيا وافريقية واستراليا وما يتبعها وعلى البحار كذلك ، فتصبح في منزلة تمكنها



من ان تحشد مواردها الحربية والبحرية ضد نصف الكرة هذا . وليس من المبالغة في شيء ان نقول اننا نعدو جميعاً في القارتين الأمريكيتين وكأنا نحيا على فوهة المدفع ، وهو مدفع محشو برصاص منقجر ، اقتصادي وحربي معاً

وعندئذ لا بد لنا من ان ندخل عصرأ جديداً يسوده الإرهاب وبقود فيه العالم كله ومنه نصف الكرة الغربي ، تدار شؤونه بالتهديد والقوة الوحشية . ولكي يتاح لنا العيش في عالم من هذا القبيل يتعين علينا ان نحول بلادنا دولة عسكرية على أساس اقتصادي حربي دائم . يريد بعضنا ان يعتقد انه اذا هوت بريطانيا قائما بقي بمنجى من الخطر لسعة المحيطين الاطلسي والهادي من الجانبين

ولكن سعة هذين المحيطين ليست الآن كما كانت في ايام السفن الشراعية . ففي نقطة معينة تقل المسافة بين افريقية والبرازيل عن المسافة بين واشنطن ودنفر — وهي مسافة تجتازها القاذفات الحديثة في خمس ساعات . اما في شمال المحيط الهادي فاميركا وآسيا تكادان تتلامسان اننا نملك اليوم طائرات تستطيع ان تطير من الجزائر البريطانية الى سواحلنا الشمالية (نيو انجلند) ثم تعود الى انكلترا بغير الحاجة الى تزويدها بالوقود في أثناء الرحلة . ومدى طيران القاذفة الحديثة آخذ في الازدياد .

في خلال الاسبوع الماضي ، أنبأني كثيرون من شتى انحاء بلادنا ما ينتظرون مني قوله الليلة وجميعهم تقريباً أعربوا عن رغبة تطوي على شجاعة عظيمة ، في ان أصرحهم الحقيقة عن خطر الحالة . ولكن برقية واحدة أعربت عن موقف أقلية صغيرة لا تريد أن ترى شيئاً من السوء ولا ان تسمع اخباره ، على الرغم من أن افرادها يعملون في صميم قلوبهم ان هناك ما يسوء . وخلاصة هذه البرقية : «رجاء أيها الرئيس لا تبث الجزع فينا باطلاعنا على الحقائق»

والواقع الذي لا يمارى فيه ان أمامنا خطراً هو خطر يجب ان تنأهب للقيام . ولكننا نعلم اننا لا نستطيع ان نتجو من الخطر او من القلق والجزع الذي يبعثه في النفس ، بتسللنا الى الفراش ونفطية رؤوسنا

في اوربا دول كانت مرتبطة بألمانيا بمواثيق عدم تدخل موثقة ، وكان هناك دول أخرى أكدت لها ألمانيا انها يجب ألا تخشى الغزو من ناحيتها . وسواء كانت هناك مواثيق من هذا القبيل أم لم يكن ، فالحقيقة الواقعة هي ان هذه الدول هوجمت واجتاحت واستعبدت على الأسلوب الحديث ، بعد اذار مدهاء ساعات أو بغير اذار ما

وقد قال لي أحد الزعماء المنفيين من أيام «ان الانذار كان كمية مهمة ، فقد تلقته حكومتي بعد انقضاء ساعتين على شروع الجيش الألماني في التدفق على بلادي في مائة موقع»



ان مصير هذه البلدان ينبغي بقيمة العيش والمدفع النازي مسدد اليك . وقد سوَّغ النازيون هذه الأعمال باعذار واهية ومنها زعمهم انهم يحتلون بلدأ ما لوضع الأمن فيه في نصابه، ومنها انهم يحتلون أو يسيطرون على أمة ما لحمايتها من عدوان دولة أخرى . فقد قالت المانيا انها تحتل البلجيك لتنفذ البلجيكين من البريطانيين . أتتردد في أن تقول لجمهورية من جمهوريات اميركا الجنوبية : اتنا سنحتل ارضك لكي نحملك من اعتداء الولايات المتحدة . والبلجيك تستعمل الآن قاعدة لغزو ضد بريطانيا التي تكافح دفاعاً عن حياتها . ولا ريب في أن كل جمهورية في أميركا الجنوبية تتحول قاعدة لهجوم الماني على جمهورية مجاورة في نصف الكرة هذا اذا وقعت في أيدي النازيين

دققوا النظر في مستقبل موقعين أقرب الى المانيا والينا من احدى جمهوريات أميركا الجنوبية . أستطيع إرلندا ان تقاوم اذا انتصرت المانيا ؟ وهل تستثنى الحرية الارلندية في عالم زعت حريته ؟ او خذوا جزائر الازورس ( الجزائر الخالدات ) التي ما فتئت تابعة للبرتغال من خمسة قرون . اتنا نعد جزائر هواي قاعدة لازمة لدفاعنا في المحيط الهادىء ومع ذلك فجزائر الازورس في المحيط الاطلسي أقرب الينا من هواي

هناك فريق يقول ان دول المحور لا ترغب في مهاجمة نصف الكرة الغربي . وهذا لون من التفكير تمليه الرغبة كالتفكير الذي أفضى الى إضفاف قوى المقاومة في كثير من الشعوب المغلوبة . ومما لا مرء فيه هو أن النازيين أعلنوا مراراً أن جميع السلالات البشرية أدنى من سلاتهم واذن فيجب أن تخضع لأمرهم . ثم أن موارد هاتين القارتين الأمريكيتين وثروتهما أعظم مغانم العالم فهي تفري بالغزو والنهب

ان علينا ألاَّ نحجب عن عيوننا هذه الحقيقة التي لا ريب فيها وهي أن قوى الشر التي سحقته واوهت وأفسدت دولاً أخرى أصبحت داخل أبوابنا وحكومتكم تعلم عن نشاطها الشيء الكثير ان وفودهم السرية نشطة في بلادنا والبلدان المجاورة . وهي تسعى لتحريك الرب والشقاق بغية أن تثير نزاعاً داخلياً فيها . وعمَّالها يسمعون الى اثاره اصحاب المال على العمال والعمال على اصحاب المال . انهم يجتهدون في ايقاظ الحفائظ الدينية والعنصرية التي كادت تنام ، وهي حفاظ يجب أن لا يكون لها مكان في هذه البلاد . انهم جادون في كل هيئة من الهيئات ليوقظوا عدم التسامح ويستغلُّوا لأغراضهم الخاصة مقتنا للحرب . هؤلاء المعكرون لصفو الحياة الصائدون في مائها المعكر ليس لهم إلاَّ غرض واحد وهو ان ينقسم شعبنا بعضه على بعض ، فتقوم فيه طوائف على طوائف ، بغية القضاء على وحدتنا وتمزيق اوصال عزمنا على الدفاع عن كياننا وبين الأمريكيين من يعاونهم في هذا وبعضهم يفعل ذلك بغير ان يدري . ولست انهم هؤلاء



الأميركيين بأنهم عمال للأجانب ولكنني اتهمهم بأنهم يعملون العمل الذي يريده الطغاة في الولايات المتحدة. هؤلاء الناس لا يعتقدون أننا نستطيع أن نتجو بأنفسنا باغراض عيوننا عن الأمم الأخرى فحسب، بل إن بعضهم يتعدى ذلك فيقترح أن نقتل الأساليب الدكتاتورية. إن الأميركيين لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك ولن يفعلوه، وإن تجارب السفين الأخيرتين تثبت أنه ليس في وسع أمة أن تسالم النازيين وتسلم. فليس في قدرة امرئ أن يروض الببر الشرس ويجوله إلى هر أليف بالترتيب على ظهره. إن مسالمة العنف متعذرة. والتعقل مع القبيلة المحرقة مستحيل. ونحن نعلم الآن أن السلام مع النازيين لا يتم لأمة ما إلا إذا أذعنت أذناناً تاماً.

والباطليون أنفسهم لا يعلمون في هذه الدقيقة متى يقبلهم حلفاؤهم قبلة الموت إن دعاة التهدة بين الأميركيين يتجاهلون مصير النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا وزوج والبلجيك وهولندا والدنمارك وفرنسا. يقولون إن دول المحور ستقتل الظفر على كل حال. وإن الدماء التي تسفك يمكن حقنها، وأنه خير للولايات المتحدة أن تلقي بنفوذها في كفة صلح على إملاء وإن تخرج منه بأعظم نصيب تستطيعه.

ثم يدعونه «سلام مفاوضة!». إن هذا هو لغو الكلام. فإذا أهدت جماعة من المتشردين السفاحين بقريتك وهددتها بالابادة فقبلت القرية أن تدفع جزية لتنجو بمجلدها، فهل يكون ذلك «سلام مفاوضة»

إن سلاماً مملئاً من هذا القليل لن يكون سلاماً على الإطلاق. إنه لا يكون إلا هدنة أخرى تقضي إلى أضخم سباق في التسليح، وأفتك حروب في ميدان التجارة عرفها التاريخ، وفي هذا التضال يغدو الأميركيون مضطرين وحدهم إلى المقاومة الفعالة لدول المحور إن النازي على الرغم من مباهاتهم بالكفاية وتفاخرهم بالأغراض الصالحة في هذه الحرب، لا تزال المعتقلات من وراء كلامهم وفيها خدام الرب مصفدون.

وتاريخ السنوات الحديثة يثبت أن إطلاق الرصاص والسلاح والمعتقلات ليست أدوات يستعملونها إلى حين ثم تزول بل هي مذابح تسجد أمامها الدكتاتوريات الحديثة. قد يتكلمون عن النظام الجديد في العالم ولكن الصورة التي تتمثل لهم هي بعث أقم ألوان الاستبداد وأشنعها. وهو نظام لا حرية فيه ولا دين ولا رجاء. إن النظام المقترح مضادٌ مناقض على خط مستقيم لولايات أوروبا المتحدة أو لولايات آسيا المتحدة. فالحكومة فيه ليست حكومة قائمة على رضى المحكومين. ولا هو اتحاد بين رجال ونساء ذوي كرامة لحماية أنفسهم وكرامتهم من الاستبداد. إنه حلف غير مقدس بين السطوة والارهاب للسيطرة على النوع الانساني واستعباده والشعب البريطاني يحارب الآن حرباً مجيدة ضد هذا الحلف غير المقدس. ومستقبل سلامتنا



متوقف على مصير هذا الصراع . وقد رتبنا على البقاء بمعزل عن الحرب متأثرة حتماً بتلك النتيجة  
وانني اذ افكر في مسائل اليوم والغد ، اصارح الشعب الاميركي بان احتمال بقائنا خارج  
نطاق هذه الحرب ، يزداد اذا نحن بذلنا تأييدنا الا ن للدول التي تدفع عن نفسها هجوم  
المحور ، غير مسلمين بهزيمتها ، ولا مدعين في لين وذل لظفر المحور منتظرين حتى يجيء دورنا  
اذ نصبح نحن هدفاً للهجوم في حرب اخرى تالية

واذا أردنا حقاً ان نواجه الحقيقة فعلياً ان نعترف بان المغامرة نحف بكل طريق نختار .  
ولكنني موقن ان الكثرة الساحقة من امتنا متفقة على ان الطريق الذي ادعو الى سلوكه  
ينطوي على اقل خطر . يحتمل ان تعرض له الآن ، وعلى اكبر رجاء وامل لسلام العالم في المستقبل  
ان شعوب اوربا التي تدافع عن نفسها لا تطلب منّا عوناً في الرجال . بل تطلب عوناً في  
ادوات الحرب - الطائرات والدبابات والمدافع والسفن التي تنقل هذه الادوات لاجل الدفاع عن  
انفسهم وعن سلامتنا . ولا بد لنا من ان نرسل اليهم هذه الاسلحة في مقادير وافية ، وبسرعة  
كافية حتى تنجو نحن وينجو اولادنا من ولايات الحرب ورزاياها وهي الولايات والرزايا التي  
يعانيتها آخرون . فليمتنع دعاة الهزيمة عن القول بان الوقت قد فات . فليس في الوسم الافراط  
في التبكير . واليوم أبكر من غدٍ

من الحقائق ما يعد في منزلة الأوليات . ان بريطانيا والامبراطورية البريطانية تعد من  
الوجهة العسكرية رأس المقاومة لنزعة الفتح العالمي . وهي تحارب حرباً ستخلد الى الأبد في سفر  
البسالة والشجاعة البشرية

ليس ثمة طلب بارسال حملة عسكرية خارج حدودنا وليس ثمة نية تجول في ذهن عضو ما من  
اعضاء حكومتكم على إرسال حملة من هذا القيل . ففي وسعكم اذن ان تدفعوا كل ما يقال عن ارسال  
جيوشنا الى اوربا بأنه كذب عمد لأن سياستنا القومية ليست متجهة الى الحرب بل غرضها الوحيد  
هو إقصاء الحرب عن بلادنا وشعبنا

تستمد الديمقراطية في كفاحها مع نزعة الفتح العالمي عوناً من تسليح الولايات المتحدة ويجب  
ان يتسع هذا العون بارسال كل اوقية وكل طن من العتاد الحربي نستطيع ان نتخلى عنهما  
لمساعدة الحماة الذين في خطوط القتال . وليس هذا العمل منافياً للحياد اكثر من عمل أسوج  
وروسيا وغيرها من الأمم التي ترسل الصلب وركاز المعادن والزيت وغيرها من مواد الحرب الى  
المانيا كل يوم

اتنا نضع خطة لدفاعنا ونحن شاعرون بالضرورة الملحة الحاسمة التي تقتضيها الحالة الدولية



ولكن لا بد لنا من ان ندمج ما تحتاج اليه بريطانيا وغيرها من الأمم الحرة التي تقاوم الاعتداء في هذه الخطة التي نعتي بوضعها وتنفيذها

وهذه المسألة ليست مسألة شعور واقفال أو مسألة نقاش ورأي خاص ، إنما مسألة خطة حرية واقعية قائمة على مشورة الخبراء الحريين المتصلين أوثق اتصال بالحرب الحاضرة . هؤلاء الخبراء العسكريون والبحريون وأعضاء الكونغرس والحكومة ، يحركهم قصد واحد — وهو الدفاع عن الولايات المتحدة الأمريكية

ان هذه الأمة تبذل جهداً عظيماً لانتاج كل ما نحتاج اليه في هذه الحالة الطارئة ، وبأسرع ما نستطيع . والجهد العظيم يقتضي تضحية عظيمة . واني لن أطلب الى أحد أن يدافع عن ديمقراطية لا تدافع بدورها عن كل فرد لتحميه من غائلة العوز والحاجة . فقوة هذه الأمة لن توهن بتعدد الحكومة في حماية رخاء جميع أبنائها

واذا كانت قدرتنا على الانتاج محدودة بالآلات فلنتذكر ان هذه الآلات لا تدار ولا تتحرك الا ببراعة العمال وصبرهم على المشاق . ولما كانت الحكومة عازمة على حماية حقوق العمال فللأمة أن تنتظر من الرجال الذين يحركون الآلات ، النهوض بما تقتضيه حاجة الدفاع الماسة من تبعات واعباء . فلعامل من الكرامة الانسانية ما للمهندس والمدير والمالك ويجب ان يتمتع بالمزايا التي تضمن له أسباب الحياة لأن العمال يولدون الطاقة البشرية التي تصنع المدمرات والدبابات والطائرات

والأمة تنتظر من صناعات الدفاع ان تمضي في عملها بلا توقف ناشئ عن اضراب او اعتصاب . أنها تنتظر من اصحاب المصانع والعمال وتصراً على ان يسووا ما بينهم من خلاف تسوية ودية او وفقاً للاساليب القانونية ، لكي يستمروا في انتاج الاسلحة التي تشد الحاجة اليها ونحن نبذل من الناحية الاقتصادية لبرنامج الدفاع العظيم كل جهد للمحافظة على استقرار الاسعار جنباً الى جنب مع استقرار نفقات المعيشة

منذ تسعة ايام اذعتُ خبر انشاء هيئة مهمتها توجيه مساعينا الضخمة على طريق التوسع في انتاج الذخائر . ولكن رصد المبالغ الطائلة وانشاء هيئة تنفيذية للاشراف على توجيه تلك المساعي لا يكفيان بحد نفسيهما . ان مصانع اميركا يجب ان تصنع مدافع وطائرات وسفناً وهذه لا تصنع الا بأيدي العمال والمهندسين وبمساعدة آلات يجب ان يصنعها مئات الألوف من العمال في طول البلاد وعرضها

وفي هذا العمل العظيم كان التعاون بين الحكومة والصناعة والعمال تعاوناً يدعو الى الاعجاب ان العبقرية الأمريكية الصناعية التي لا ند لها في العالم في حل مشكلات الانتاج قد دُعيت



الى العمل بكل ما تملك من موارد ومواهب . فصانع الساعات وادوات الحراثة ومنضدات الحروف ومسجلات النقود والسيارات وماكينات الخياطة وجزازات العشب والقاطرات تحولت الآن الى صنع الاجهزة الكهربائية ورفوف القنابل ومساند التلسكوبات والقنابل والمسدسات والدبابات

ولكن جهدنا هذا ليس بكافٍ فعلينا أن نزيد ما نصنعه من السفن والمدافع والطائرات وغيرها وهذا لا يتم لنا الا اذا حذفنا من سفر حياتنا الآن عبارة « العمل كالعادة » . فالعمل الذي نريد أن نهض به لا يتم بمجرد اضافة هذه المنتجات الى المصانع فتصنعها علاوه على انتاجها العادي

ان أعمال الدفاع يجب أن لا يصددها أولئك الذين يخشون عواقب التوسع في مصانعهم لان العواقب الناشئة عن التخصير في توسيع المصانع الآن اعظم خطراً وأجدر بالجزع . وبعد ما قال الرئيس ان حاجات البلاد في المستقبل كفيلة بتشغيل جميع هذه المعامل اذا عولجت مشكلات الانتاج والاستهلاك معالجة صائبة . قال : إنه لن يسمح لمن آتت التشاؤم بمستقبل اميركا ان يؤخر المساعي المبذولة للتوسع الحديث في الصناعات اللازمة للدفاع وانه لا يريد ان يدع مجالاً للشك في ان الأمة موطنه العزم على ان تبني بأعظم سرعة مستطاعة كل آلة وكل مصنع تحتاج اليه لصناعة الاسلحة والعتاد الحربي . قال : عندنا الرجال وهم يتصفون بالمهارة . والمال متوافر . وعلاوة على هذا كله هذه مشيئتنا . ثم قال : انه اذا اقتضت حاجات الدفاع الحد من انتاج المصنوعات الكمالية فلا بد المصنوعات الكمالية من ان تخلي الطريق للمصنوعات الحربية

يجب علينا ان نصبح الترسانة الكبرى للديمقراطية . وهذه الحالة الطارئة في نظرنا أخطر شأناً من الحرب . فعلينا ان نكب على عملنا بالعزم والنضحية والوطنية كأننا في حرب . وقد بذلنا للبريطانيين عوناً مادياً كبيراً وسيكون عوننا لهم في المستقبل اعظم . ولن نسمح لحائل ما بعرقلة عزمنا على عون بريطانيا وليس ثمة دكتاتور او مجموعة من الدكتاتوريين نستطيع ان تثقينا عن عزمنا اذا هدأت بتفسير هذا العزم على هواها

واني لأعتقد ان دول المحور لن تكسب هذه الحرب وابني اعتقادي على أحدث الانباء وأجدرها بالثقة

ليس هناك عذر واحد يحملنا على الاستسلام الى دماء الهزيمة بل هناك كل باعث يبعث على الرجاء — رجاء سلام ، ورجاء دفاع عن حضارتنا وانشاء حضارة أفضل منها في المستقبل ثم ختم : وبصفتي رئيساً للولايات المتحدة الاميركية ادعو الامة لبذل الجهد القومي . ادعوها باسم الامة التي تتشرف بخدمتها . اني ادعو الشعب وثقتي مطلقة بنجاح قضيتنا المشتركة



## ١ - الحرباء الرابع

في مدى تسعة أيام بين التاسع والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٤٠ والسادس من شهر يناير ١٩٤١ هزّ الرئيس روزفلت مشاعر العالم مرتين ، بما قاله في خطبتين سنزلان بين اعظم وأبلغ الخطب التي يحفل بها تاريخ الأمة الأميركية . كانت الخطبة الأولى<sup>(١)</sup> موجهة الى الأمة فيجمعها مائة مليون من الناس في الولايات المتحدة الأميركية وخارجها . وكانت الثانية رسالة موجهة من الرئيس الى نواب الأمة وشيوخها ، مجتمعين في هيئة مؤتمر ، في دار الكابيتول Capitol التاريخية عند ما استهلّ الكونغرس السابع والسبعون دورته الجديدة . والرسالة مكملة للخطبة ، تفصل الثانية ما أُجمل في الأولى ، وتدلّ على الطرق العملية لتنفيذ القواعد العامة

في كلتا الخطبتين تكلم الرئيس بلسان من له سلطان . وسلطانه مستمدّ من كونه رجلاً نشأ في بيت غنى وجاه فمال في حياته السياسية منذ استهلّها الى تأييد حقوق « الرجل المنسي » فالعدل الاجتماعي في تركيبي العقلي والخلقي شهوة غالبة عليه . وسلطانه مستمدّ كذلك من كونه رئيس دولة عظيمة ، جدّد انتخابه لرأسها على رغم التقاليد السياسية المريعة في بلاده ، ومن كونه الأكثرية في مجلسي النواب والشيوخ أعضاء في الحزب الذي يؤيده . ولكن المسألة التي عالجها الرئيس ليست حزبية محضة . بل هي قومية حقاً . وهذا سرّ سلطانه الأعظم . ان الرئيس يتكلم بلسان القوم ، ويعرب ببلاغة نادرة ، وصراحة لا مجال فيها للعداوات الدبلوماسية ، عن المشيئة القومية

كان العالم ينتظر رسالة الرئيس هذه ، ليعلم كيف يعالج تنفيذ القواعد العامة التي تضمنتها خطبته من تسعة أيام ، فلم يخيب أمل العالم الحرّ المنتظر

في هذه الرسالة وضع الرئيس أولاً ثلاث قواعد لسياسة الولايات المتحدة الأميركية الخارجية :  
أولاً — قاعدة الدفاع الكلي عن أميركا

ثانياً — قاعدة تأييد كامل لجميع الشعوب التي تناضل قوى المعتدين

ثالثاً — قاعدة ، ان اعتبارات المصلحة ، والخلق العالي ، تقضي على أميركا بأن تمتنع بتاتا عن قبول كلّ صلح يملّيه المعتدون او يدعو اليه دعاة الهدنة

والمفهوم من تصريحات وخطب سابقة للرئيس ، ومن مضمون مبدأ مونرو ، وبما يقال عن مقاضات دائرة مع دول أميركا المتوسطة والجنوبية ، ان الدفاع الكلي المنطوي في القاعدة الأولى يشمل العالم الجديد او نصف الكرة الغربي . والقاعدة الثانية تشمل جميع الشعوب التي تدافع قوى العدوان في أوروبا وآسيا وإفريقيا على السواء . أما الثالثة فتدلّ على

(١) في الصفحات الثماني السابقة ملخص واف لهذه الخطبة



ان أميركا لن تنثني مهما يكن التحول الذي يطرأ على سير الحرب، ولن تسلم بصلح يمليه المعتدون ولا باتفاق يؤبده دعاة الهدنة كاتفاق ميونخ

ثم قال انه سيطلب من مجلسي الأمة، ارضاء مبالغ وفيرة من المال، لصنع الأسلحة، ومتى تم صنع الأسلحة، ترسل الى الدول التي تدافع قوى العدوان. فهذه الدول على قول الرئيس لا تطلب عوناً من الرجال، ولكنها تطلب عوناً من الأسلحة، وليس بعيد ان تعجز عن توفية ثمن هذه الأسلحة فوراً بالدولار، ففي هذه الحالة، لا يجوز ولا يعقل ان تقول لها الولايات المتحدة الاميركية، استسلمي لأنك عاجزة عن توفية ثمن ما تريد. وحكومة الولايات المتحدة لن تفعل هذا. بل — قال الرئيس — ستمضي في إرسال مقادير متزايدة من السفن والطائرات والمدافع والذخائر اليها. هذا هو عزمنا. وهذا هو عهدنا

ألا يجوز ان تعتبر دولتنا المحور عملاً من هذا القليل عملاً حربيّاً؟

ان الرئيس ينكر ان لها ان تعتبره كذلك. فهو لا يختلف عما يتبناه احداها أو تقتضيه من البلدان التي حو اليها. واذا هدّدت بأنها تعتبر عملاً حربيّاً، فتهديد الدكتاتورين — قال الرئيس — ان يثنيانا عن عزمنا. فلو صحّت نيّة الدكتاتورين على مهاجمة الولايات المتحدة الاميركية، واستقامت لهم الوسائل والأدوات لهذا الهجوم، فإنهم لن ينتظروا من ناحيتنا عملاً حربيّاً ليتخذوه مسوّغاً لهجومهم. ما هو العمل الحربي الذي عملته هولندا او بلجيكا عما يسوّغ الاعتداء عليهما ذلك الاعتداء الوحشي. ان الدول المعتدية لا تُعنى بالقانون الدولي ولا تقيم له وزناً إلا اذا كان خادماً لمطامعها

ولكنّ الرئيس غير مكثف بتعبئة القوى الديمقراطية، ونحويل الولايات المتحدة «ترسانة» لها، لسحق الدكتاتورين فقط، بل هو يمدّ نظره الى ما بعد النصر، فيضع القواعد التي يراها لازمة للعالم الجديد. وهي قواعد يشترك في قبولها وتأييدها الرؤساء الروحيون كقداسة البابا، على ما بدا من قداسه في اذاعته التي اذاعها في اليوم السابق لعيد الميلاد، والرؤساء الزمنيون، الذين تعلموا ان يحترموا تراث الانسانية الكريم، بعد نضال عنيف خلال القرون. والقواعد التي يقترحها الرئيس يجوز ان تسمّى «الحريات الأربع»، وهي حرية الرأي والقول. وحرية العقيدة والعبادة. والحرية او التحرر من العوز. والحرية او التحرر من الخوف. في هذه الحريات الأربع اركان العالم الجديد، من نواحيه الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولتحقيقها لا بدّ على قول الرئيس، من النصر الكامل

واكبر الرجاء ان يقرّب هذا النصر، بفعل الموقف الحاسم الذي وقفته الولايات المتحدة الاميركية، لكي يتاح لرئيسها العظيم الاشتراك الفعّال في عمل البناء الذي يليه



۲- تاہیر اور پیام

حفلت الأنباء البرقية في الأيام الأخيرة بأخبار قتال دائر بين تايلاند (سيام) والهند الصينية الفرنسية. ولكن الغرض من هذا الفصل ليس وصف بواعث هذا القتال القريبة والبعيدة وصلته بسير الحرب الاوربية وموقف اميركا واليابان في الشرق الأقصى بل غرضه وصف تايلاند ونظام الحكم والاجتماع فيها وصفاً موجزاً

تقع تايلاند في الجنوب الشرقي من قارة آسيا ، بورما الى شمالها الغربي وغربها والهند الصينية الفرنسية الى شمالها الشرقي وشرقها وخليج تايلاند الى جنوبها وشرقها. وهي بلاد كثيفة الحراج غنية بالمعادن اتم محصولاتها الزراعية الرز وهو عماد طعام اهله مساحتها ٢٠٠ الف ميل مربع وسكانها نحو خمسة عشر مليوناً وعاصمتها بانكوك

في هذه البلاد من المتناقضات السياسية والاجتماعية ما يحير. رئيس الدولة فيها ملك لا يزال دون سن الرشد وحكامها جماعة من اصحاب الآراء المتطرفة في التنظيم الاجتماعي بينما الشعب اكثوه من الفلاحين. واذا استثنينا جانباً من الصين لا يزال مستقلاً بعد غزوة اليابان فهي الدولة الآسيوية الوحيدة التي احتفظت باستقلالها فلم تعن للاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر في هذه البلاد ١٧٤٠٨ هـ كل بوذية وطبقة من الكهنة تعد ١٥٠ ألفاً والحيوان المقدس فيها هو الفيل الأبيض. وقد بقيت سيام الى سنة ١٩٣٢ دولة ملكية مطلقة والأسرة الحاكمة فيها أسرة «شاكري» ولم يكن لها دستور ولا نظام قضائي ولا مجلس تشريعي. ومع ان سلطة الملك كانت مطلقة الا ان ملكها كان معتدلاً في ممارسة سلطته. ولكن طبقة من الشعب كانت قد انصلت بأفكار الغرب في الحكم والاجتماع فطالبت باصلاح واسع النطاق في نظام الحكم وفي شهر يونيو من سنة ١٩٣٢ حدث فيها انقلاب لم تصحبه اراقة دماء اذا استثنينا قائداً واحداً جرح في نفذه. وقبل الملك العبرة المستخرجة من حوادث الانقلاب وأذعن للانذار الذي وجه اليه النوار فلم يكن ثمة حاجة الى اعلان الحكم العرفي. فاعتذر النوار الى الملك عما نسبوه اليه في انذارهم وأعدوا دستوراً مؤقتاً تبعه آخر. وكانت الحركة موجهة على الغالب الى طبقة كبيرة من الأمراء والاشراف كانت محنكة السلطان السياسي والمزايا الاقتصادية وكذلك اسفرت الحركة عن تغيير نظام الحكم بغير ان يثل عرش الملك او يراق دم واحد من الأمراء. وكان النوار طبقة من الضباط والطلاب اخذوا بآراء احزاب اليسار في اوربا وكانهم قرأوا تروتسكي وغيره من نوار العصر الحديث فلم تقع معارك في الشوارع. بل استولى النوار على دارالتلفونات وسكك الحديد ومحطات توليد الطاقة الكهربائية فكان ذلك ايذاناً باستيلائهم على مقاليد السلطة. ثم انشقوا فريقين فتولى رئاسة الوزارة ضابط كبير برتبة كولونيل



يكتب اسمه — فيافاهول فولفيوهاسينا — ويلفظ «باهون» ثم حاول فريق من الامراء والنبلاء تنظيم ثورة على الثوار لاسترداد الحكم فأخفق مسامح وقبض على بعضهم وحوكم وحكم عليه بالاعدام وفي خلال ذلك كان الملك قد رحل الى اوربا لمعالجة عينيه وبدأ منه ما يشير الى انصرافه عن الرغبة في العودة الى بلاده مع ان الحكومة على ما يقال لم تمس منصبه في الدستور الجديد ووعدت بالمحافظة على الولاء له اذا اقسام يمين الولاء للدستور. ولكن الازمة بينه وبين الحكومة بلغت اشدها في سنة ١٩٣٥ اذ طلبت منه الحكومة الموافقة على امر اعدام بعض الامراء الثوار فابي وكان في لندن حينئذ فأرسل الى الحكومة رفضه ونزوله عن العرش بالبريد. الا ان الثوار اعدوا على الطريقة السيامية التايلاندية أي اسدل ستار أمام الثوار حتى لا يعرفهم الجنود الذين يطلقون الرصاص عليهم. خلف الملك النازل عن العرش ابن أخيه المولود سنة ١٩٢٥ وهو يبلغ سن الرشد في هذه السنة (وهي عندهم ١٦ سنة) ويحتفل بتوليته احتفالاً فخماً ويروي جون جنتر الصحفي الاميركي في مجلة الشؤون الخارجية ان الملك السيامي شولا لونجكورن حكم البلاد من سنة ١٨٦٨ الى ١٩١٠ وكان ملكاً نيراً فهدت في البلاد السكك الحديدية في عهده وانشئت مكاتب البريد والبرق وعقدت معاهدات مع الدول الاجنبية ومن أغرب ما يؤثر عنه ان كان له اربع وثمانون زوجة و٣٦٢ ولداً وابنة منهم.

وفي دليل سيام الحديث — على ما يقول جنتر — تسع صفحات حافلة بأسماء أولاده الذكور الذين على قيد الحياة الآن وهم خمس وعشرون طائفة أو أسرة والظن انهم أولاده من زوجاته الخمس والعشرين المقدمات على غيرهن. ولو كان جميع ملوك سيام في خصب هذا الملك لأصبحت طبقة الأمراء غالبية على البلاد ولذلك اخترع السياسيون أسلوباً يتحول به الأمراء وسلالتهم جيلاً بعد جيل الى العامة فابن الملك صاحب السمو الملكي وابنة صاحب السمو المحترم وابنه لورد وابنه مستر — او ما يقابل هذه الألقاب من ألفاظ

ولم يكتفوا بهذا لذلك فرضوا على ملوكهم التزوج بواحدة

وخلف هذا الملك بكره من زوجه الاولى فكان رجلاً غريب الأطوار تجتمع فيه صفات متناقضة. كان مقامرأ مسرفاً وشاعراً ترجم شكسبير الى السيامية والف مسرحيات وممثل فيها. وكان يجب ان يخلفه اخوه من ابيه ومن زوجة اخرى وكان يدعى ماهيدول ولكن ماهيدول كان في شغل بالطب عن الملك فتعلم الطب في جامعة جونز هبكنز الاميركية وتزوج فتام سيامية كانت ممرضة في مستشفى هناك وفتتح عيادة واشتهر طبيباً فانتقل الملك الى اخيه الذي تنازل عن العرش برسالة بريد ا وقد اصدرت الحكومة امراً في السنة الماضية بتغيير اسم البلاد من سيام الى تايلاند

ومعناها «بلاد الاحرار»



## ٣ - طبرانه القاذفات الأميركية

لو كان الزمان زمان سلام وقيل لنا ان طياراً أفطر في نيويورك وشرب الشاي في لندن لقمنا وقدنا اعجاباً بمن صنع الطائرة واكباراً لهمة الطيار واهتماماً بما يحتمل ان تسفر عنه هذه الرحلة من تنظيم السفر الجوي فوق المحيط الأطلسي. فالتنا مافئتنا نذكر برون والكوك ولندرج ورد وتشمبرلان وجاتي وبوست وغيرهم ممن طاروا من اميركا الى أوروبا وكيف كان نجاح كل منهم عاملاً منصوباً على طريق الآتال الجوي المرموق بين العالمين القديم والجديد

على ان رحلة الطيار الذي أفطر في نيويورك وشرب الشاي في لندن ليست رحلة مستقلة ولا فذة في هذه الأيام. لأن لورد بيفر بروك وزير انتاج الطائرات في بريطانيا والسراشيدبولد سنكبير وزير الطيران فيها وغيرها من الثقات في بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية أطلعونا على ان القاذفات التي تبتاعها بريطانيا من الولايات المتحدة تصل تباعاً طائرة من العالم الجديد الى بريطانيا فلا تستغرق رحلتها عبر المحيط الا عشر ساعات الى اثنتى عشرة ساعة على الأكثر. وهذا عمل عظيم الشأن من ناحية مستقبل الطيران التجاري وربط القارات بعضها ببعض. وهو نتيجة منطقية لرحلات الطيارين المقادير الذين شقوا الطريق بعد الحرب العالمية الأولى ومهدوه باقدامهم وجرائهم وما استخرج من رحلاتهم من الحقائق والعبر

وما زلنا نذكر كيف اقترح ارمسترونج المهندس الأميركي من سنوات انشاء مطارات طافية في المحيط لتكون قواعد تنزل فيها الطائرات للتمون بالوقود فتقطع المحيط في مراحل وينتظم السفر الجوي على هذا المنوال. ولكن مطارات ارمسترونج الطافية غدت خبراً من أخبار تاريخ الطيران الآن لأن التقدم الفني في صنع القاذفات بعيدة المدى بحكم الحاجة الحربية جعل سفر هذه القاذفات الضخمة من أميركا الى أوروبا عملاً منتظماً. وليست هذه المرة الأولى التي تكون الحرب فيها حافزاً لاقتان المحترعات. وأطرزة الطائرات الأميركية التي تقطع هذه الشقة الواسعة من الماء أربعة على ما يعلم الآن وجميعها تقطعها على أهون سبيل

ولا يخفى ان فصل الشتاء في شمال المحيط الأطلسي ليس خير الفصول لاجتيازه طيراناً. ومعظم الرحلات الجوية عبر المحيط الأطلسي التي استوقفت النظر في خلال العشرين السنة الماضية كانت تم في الربيع او في الصيف عندما يكون الجو أميل الى الاستقرار والنهار أطول فيستفيد الطيار من طول مدى النهار. ومن نحو سنتين جرب رجال شركة أميركية كبير للمواصلات الجوية (Pan American) تجارب شتى فأسفرت عن قولهم ان انتظام السفر الجوي فوق الجانب الشمالي من المحيط الأطلسي في أثناء الشتاء متعذر

ولكن ما كان متعذراً في عرفهم من سنتين أصبح عملاً منتظماً الآن. وليس في وسع الباحث



ان يبالغ مها يقل في قيمة هذا الانتظام من الناحية العمرانية

إلا أننا في غمار حرب للقوة الجوية فيها اعظم نصيب . ولا ريب في ان انتظام وصول القاذفات الأميركية الى بريطانيا طائرة سيكون له اعظم تأثير في تفوق سلاح الطيران البريطاني واعداده للهجوم الكبير المنتظر . وقد قال السير ارشيبولد سنكلير في الخطبة التي القاها من يومين أن ما يصل الآن ليس الا قليلاً من كثير . وما نعرفه عن تأهب الصناعة الأميركية لانتاج الطائرات إنتاجاً واسع النطاق يؤيد هذا القول اذا صرفنا النظر عن منزلة صاحبه الرسمية ان أعظم ما تفوق اليه قيادة سلاح الطيران الالماني ومن وراءها حكومة الريخ هو تعطيل مصانع الحرب في بريطانيا واغراق السفن التي تنقل اليها من الخارج ما يحتاج اليه من خامات صناعية وحرية وأسلحة وعناد وطعام . ولكن اذا فضلت تدمير أو تعطيل شيء على آخر فلها تفضل أن تدمر أو تعطل المصانع التي تصنع الطائرات في بريطانيا، والسفن التي تنقل الطائرات من كندا وأميركا وغيرها . وأسباب هذا التفضيل لا تخفى . أما وقد حلت مشكلة نقل القاذفات الأميركية الى بريطانيا طائرة فان هذا ظفر عظيم لسلاح الطيران البريطاني وخلق بان يمكن سلاح الطيران البريطاني من التفوق العددي في مدة أقصر من المدة التي كان يظن انه لابد منها ثم ان نقل الطائرات طائرة من أميركا الى بريطانيا يوفر مساحات كبيرة كان لابد ان تشغلها في السفن التي تقلها فتحول الى نقل مواد وأسلحة أخرى لابد من نقلها بحراً . ويوفر كذلك العناية التي لابد منها لحراستها وهي في البحر فتوجه الى حراسة واردات أخرى . ويعجل النقل لأن هذه الطائرات تصل الى بريطانيا في عشر ساعات الى اثنتي عشرة ساعة بينما القوافل البحرية عاجزة على الغالب عن اجتياز شمال المحيط والوصول الى الثغور البريطانية في أقل من عشرة أيام والغالب ان مدى الرحلة أطول . فاذا أضفنا الى كل ما تقدم ان المصانع الكندية والأميركية سيتسع نطاق اتاجها اتساعاً عظيماً في خلال هذه السنة الأميركية وان جميع هذه المصانع بعيدة عن مرمى القاذفات الالمانية علمنا ان نأ طيران هذه القاذفات من أميركا الى أوروبا ينطوي على معنيين كبيرين الشأن أحدهما ذو صلة بمستقبل المواصلات الجوية من الناحية العمرانية والآخر بسير الحرب من ناحية تعزيز سلاح الطيران البريطاني

[ ١٩ يناير ١٩٤١ ]

#### ٤- النفسى والمجاهدة في شمال افريقية

اذا صرفنا النظر عن الظفر الباهر الذي أحرزه « جيش النيل » منذ بدأ هجومه في الصحراء الغربية في ٩ ديسمبر الماضي ، الى القواعد الفنية التي مهدت له هذا الظفر تبينا ان معارك سيدي براني والبردية وطبرق ستزل في اسفار الفنون العسكرية نماذج يتدارسها الطلاب العسكريون في المستقبل لانها اتم مثال — واذا استثنينا الجلاء عن دنكرك فهي أول مثال — على التنسيق التام



بين ثلاثة اسلحة مختلفة في طبيعتها وفي الوسط الذي تتحرك فيه ونعني الجيش على البر وسلاح الطيران في الجو والأسطول في البحر . وإذا أضفنا الى ذلك ان القيادة البريطانية تمكنت في المارك الثلاث من تطبيق مبدأ المفاجأة وان تنظيم الأعمال الحربية في مكان من الصحراء يبعد أكثر من مائتي ميل عن اقرب محطة سكة حديد كان آية في بابه علمنا ، ان النقاد العسكريين لا يسعهم الا التناء والاطناب فيه

ويؤيد هذا الرأي ان ناقداً عسكرياً ألمانياً نشر في صحيفة فنية المانية يوم بدء الهجوم على سيدي براني مقالاً ينكر فيه ان في وسع احد الفريقين في الصحراء الغربية مفاجأة الآخر لان انبساط الرمال الشاسعة يجعل كل حركة يقوم بها جيش احد الفريقين مكشوفة للآخر . ومن أيام اذيع من ألمانيا ان موقف « جيش النيل » امام طبرق سيكون مختلفاً كل الاختلاف عن موقفه امام البردية لأن طول خطوط مواصلاته في صحراء تحتاحها زوايا الهبوب يعقد اعمال التأهب الحربي اعظم تعقيد . اما وقد استطاعت القيادة البريطانية ان تحقق مفاجأة القوات الإيطالية في المارك الثلاث وان تنقلب على مصاعب النقل في الصحراء وان تنسق عمل الاسلحة الثلاثة تنسيقاً دقيقاً كاجزاء الساعة وان تأسر مائة الف من الاسرى ونعم مقادير لا تحصى من الاسلحة والذخائر بغير ان يبلغ عدد اصابتها اكثر من الفين ، ان بلغهما ، فلا ريب في ان هذا شهادة عملية بمصرية عسكرية من الطبقة الاولى

كان سلاح الطيران يتولى قذف المواقع المحصنة قبل بدء الهجوم عليها وكان يخص بعنايته مطارات الاعداء فيحطم طائراتها الجائمة على الارض ويشعل النار في مستودعات الوقود والمباني والحظائر ويحدد الارض ويحدث فيها الحفر الكبيرة حتى يصبح نزول الطائرات عليها او طيرانها منها مخوفاً بالخطر ، اذ لا بد لهذه الطائرات من ان تعدو على سطح الارض مئات من الامتار قبل التحليق في الجو أو قبل الوقوف . فاذا اعترضتها حفرة كبيرة أو اخدود واسع فانها تتعرض للاقلاب فتعطب او تدمر

وهذا العمل تتولاه القاذفات . وفي الوقت نفسه تتولى المطاردات حراسة الجو لتمنع قاذفات الاعداء من التقدم نحو الجيش الذي تحميه . وعليها كذلك أن تحمي قوافل الجيش — كالقوافل السائرة من البردية الى طبرق — من قاذفات الاعداء . وعمل القاذفات الذي نقدم ذكره يسهل على المطاردات النهوض بمهمتها لأن تدمير طائرات الاعداء ومطاراتها واشغال النار في مستودعات وقودها بضعف قدرتها على مناوأة الجيش الزاحف

ثم اذا بدأ الهجوم اشتركت القاذفات في القاء القنابل على المواقع المهاجمة مع مدافع الاسطول الضخمة ومدفعية الجيش فتحس الحامية ان الهجوم انفتحت ابوابه من كل جانب وهذا وحده كفيل



باضاعاف قدرتها على المقاومة . وفي أثناء ذلك تعمل المطاردات على حماية الجيش الزاحف على المواقع المحصنة من قاذفات الاعداء اذا حاولت مساعدة الحامية باطلاق الرشاشات وقذف القنابل عليه فالتنسيق في ما يتعلق بسلاح الطيران يشمل التعاون بين القاذفات والمطاردات في مرحلتين مرحلة التهديد للهجوم ومرحلة الهجوم نفسه ثم يشمل التعاون بين سلاح الطيران والجيش من ناحية الاستطلاع . وهناك طائرات خاصة مهمتها استكشاف الجهة التي يحتمل أن يصل منها مدد الى الحامية المحصورة أو الموقع المحصن . ويشمل كذلك الاشتراك مع الاسطول ومدفعية الجيش في قذف القنابل تمهيداً للهجوم النهائي وهو في مرحلته الاولى

أما التنسيق في عمل الجيش فيجب أن يكون أولاً بين اجزائه المختلفة . ففي البردية وطبرق مثلاً تم هذا التنسيق على الوجه التالي : تظاهرت فصائل من جيش النيل في البردية بما أوهم الابطاليين أن الهجوم الكبير سيكون من الجنوب الشرقي فجاء عند ما جاء من الجنوب الغربي فتوزعت قوى الحامية بين القوات المحشودة في الجنوب الشرقي والقوات المهاجمة في الجنوب الغربي . وهذا عنصر المفاجأة . وقد اتبعت الخطة نفسها — بعد تعديل يسير فيها — عند الهجوم على طبرق . فقد أوهمت القيادة البريطانية الحامية الايطالية أن الهجوم سيأتي من ناحية ثم من أخرى ثم عند ما بدأ بدأ هجوماً عاماً ولكنه كان في الواقع مر كراً من ناحية الجنوب الشرقي فتحقق عنصر المفاجأة هنا كذلك . أما في معركة سيدي براني فقد كانت العمدة في المفاجأة على زحف الفصائل في الليل واستكناها منبسطة على الارض في النهار السابق للهجوم ثم مفاجأتها النيوية ووصولها الى البحر غرب سيدي براني . وقبل ان تفيق القوات الايطالية في سيدي براني من ذهول المفاجأة الاولى كانت القوات البريطانية تهاجمها من الشرق والجنوب وتقطع عليها خط الرجعة من الغرب

ثم عندما يبدأ الهجوم في نقطة معينة تتقدم فصائل من سلاح المهندسين — كما حدث في البردية وطبرق — لقطع الاسلاك الشائكة ، وتبعمها الدبابات وفصائل المشاة في أثرها أما معاونة الاسطول فتشمل حراسة السواحل وتخفيف حركة النقل عن الطريق الساحلي الوحيد الصالح للنقل الحربي بحمل بعض ما يحتاج اليه الجيش الزاحف مرحلة مرحلة ، واجلاء الاسرى حتى لا تقص الطريق بالقوافل الراجعة ، ثم يتلو ذلك الاشتراك مع القاذفات ومدفعية الجيش في اطلاق القنابل الضخمة على المواقع المحصن

فتنظيم هذه الاعمال وتنسيقها حتى لا يقع تقدم او تأخر وبجيت يكون تأثير تعاونها على أشده في أنسب الاوقات عمل من الطبقة الاولى من الوجهة العسكرية المجردة



مريقة المصطف

# قطف الثمار

للشاعر الفيلسوف الهندي رابندراناث طاغور

— الجزء الثاني —



نقلها الى العربية : كامل محمود حبيب



## قطف الثمار

للساعر الفيلسوف طاغور

— ٣٥ —

ها هو ذا الناي ملقى على الثرى  
والنسبات يبدو عليها الضنى ، على حين يختصر الضوء  
قاه يا يوم السوء !  
تعالوا ، أيها الجند ، وبنودكم ترفرف . وأتم ، أيها المغنون ، تعالوا في أغاني الحرب  
وتعالوا ، أيها الحجييج ، خيباً على النهج  
فالناي ملقى على الثرى ينتظرنا

\* \* \*  
لقد كنت في سبيلي إلى المعبد وبين يدي هدايا المساء ، أبحث عن مراح بعد ما  
أكدتني عمل يوحي المضني ، وإن الأمل ليحدثني أن كلوم نفسي ستلتئم ، وأن  
لطخات في ثوبي ستنتفل . . . كنت كذلك حين ألفت نايك ملقى على الثرى

فهل لم يأن لي أن أشعل مصباحي  
أفلم يهدد الليل نجوم السماء بأغانيه ؟  
وأنت أيها الوردة الحمراء ، إن أزهار الحشيشة قد ذبلت وتداعت  
وكنت أنا على يقين من أن رحلتي قد تمت ، وأن ديوني قد وفيت ، وعلى  
حين فجأة عثرت على نايك ملقى على الثرى

\* \* \*  
هز قلبي الوسمان بنغات من شبابك  
ودع مرحي في الحياة يتألق كالنار  
ودع هبات البقطة تنطلق خلال الظلماء ، ودع خفقات الملح تنفص العمى والحبل  
فلقد أقبلت لأرفع نايك من على الثرى



لن يستطيع الكرى أن يسيطر عليّ بعدُ ، وستكون جولتي تحت وابل من سهام  
وإن بعضاً من الناس سيتدافعون من بيوتهم ليجدوا الأمان إلى جانبي . . . وبعضاً  
سيذرفون العبرات

وبعضاً يظلون على فُرْشهم تتقاذفهم الأحلام المفزعة فيثنون  
هذا لأن نايك سيرسل صيخته الليلة

\* \* \*

منك وحدك سألتُ الأمان خشية أن أحسّ الحجل  
والآن وقفت أمامك . . . فامنحني القوة لألبس دروعي  
ودع الصدمات العنيفة تشعل في حياتي النار  
واحمل قلبي — طبل نصرك — يدق في ألم  
فيداي ستفضان عنهما كل شيء لتحنوا على نايك

— ٣٦ —

يا أيها الجمال ، إن جنون المرح تركهم يعشون بالثرى فيدنسون به مرطك ،  
فيمت هذا في قلبي الأسى

فأناديك « خذ عصا عقابك وهذب من أخلاقهم »  
فينطلق نور الصباح يصدم أعينهم . . . أعينهم الحمر من آتار ملاذ الليل ، وإن  
وطن الزهرة البيضاء ليحيي أنفاسهم المحترقة ، وإن النجوم تخرق الظلام المقدس  
لتحدق في مجلس شراهم اللجب . . . أولئك من يعشون بالثرى فيدنسون مرطك ،  
أيها الجمال !

إن كرسي عدالتك كان في بستان الازهار ، في أغاني الطير عند الربيع ، على  
الشاطئ الظليل حيث حفيف الاشجار يجابو همسات الموج  
فيا من أحب ، لقد كانت قلوبهم قاسية

وكانوا يتلصصون في الفسق ليسلبوا حلاك ويزنوا رغباتهم

وحين صدموك قتلت ، تأذيتُ أنا ثم صحتُ أناديك « خذ سيفك ، يا من  
أحب ، وأدبهم ! »



آه ، ولكن عدلك كان يقظاً  
فقد كانت عبرات الأم تندفق أسى على سفاتهم ، وانبعث الحب الأبدي  
من قلب حبيب فضم سهام الثورة الى جراحه هو  
وبدا عدلك في الألم الصامت المتأرجح من هوى يقظ ، في الحجل الطاهر ،  
في العبرات المتعطلة في وحدة الليل ، في ضوء الصباح الباهت السمح

\* \* \*

يا منتقم ، لقد صور لهم الفهم الطائش أن يتسوروا دارك ، فدخلوا الى  
خازنك ليسرقوا غير أن ثقل ما حملوا كان عظيماً ... عظيماً ينوء بمن يحاول أن  
يحمل أو يحرك  
وهنا ناديتك . أن اعف عنهم ، يا منتقم !  
فانفجر عفوك طافئة تقذفهم من عل ، وتناثر ما سرقوا في التراب  
وكان عفوك صاعقة ، وسيلاً من دم ، وكان هو الغضب الأحمر الذي يلوح  
في الشفق عند الغروب

— ٣٧ —

على الرى ، لدى أسوار مدينة ماتورا ، نام يوبا جويتا ، تلميذ بوذا  
لقد كانت المصاييح خادمة ، والأبواب مغلقة ، والألحاجم متوارية خلف سماء  
اغسطس المتجهمة  
فليت شعري ، اقدام من تلك التي انبعثت منها رنات الخلاخيل فست قلبه  
على حين فجأة  
ففرع عن مرقد ، وانطلق شعاع من مصباح المرأة قتألق في عينيه البريثين  
لقد كانت هي الراقصة تتألق في حليها ، وقد ضمها مرط أصفر باهت ، على  
حين أسكرتها نشوة الشباب

\* \* \*

ووضعت الفتاة مصباحها لترى هذا الوجه الغض الجليل



ثم قالت « لا تلحنى أيها العابد ، بل تعال الى دارى ، فهذا الثرى فراش لمن هو دونك »

فأجابها العابد « انطلقى ، أيها المرأة ، الى غايثك ، وسيأتى يوم أذهب فيه اليك »

\* \* \*

وعلى حين بغتة كشر الليل عن نابه في مثل ومضات البرق  
وصلصات الصاعقة من جانبي السماء ، فانتفضت المرأة من دعر

\* \* \*

لقد كانت الأشجار على حيد الطريق تضع أزهارها  
ونفثات الناي الشجية تسبح مقبلة على نسبات الربيع الدافئة  
والجمع ينطلق الى الغابة ... الى مهرجان الزهور  
ومن كبذ السماء يطل البدر على شبح المدينة الصامتة  
... حين كان الراهب الصغير يدلف على الطريق الخالي ، ومن فوق المحب  
المتدله شجرات الكويل تتزعزع من أغصان المانجو أينما يقظ  
واخترق بوابا جوبتا باب المدينة ووقف بازاء السور  
من عسى أن تكون تلك المرأة الملقاة في ظلال السور عند قدميه ، وقد ضربها  
الطاعون فشاعت القرحات في جسمها ... فقذف بها الى خارج المدينة

\* \* \*

لقد جلس الراهب اليها ، ووضع رأسها على ركبتيه ، وبلل شفتيها بالماء ، ودهن  
جسمها بالبلسان

فسألته « من عسى ان تكون ، ياسيدي ؟ »

فأجابها الراهب الشاب « وأخيراً ، آن لي أن أزورك ، فما أنذا ! »

— ٣٨ —

يا من أحب ، إن هو انا لا تشوبه الدماثة  
فلطالما هبطت على عواصف الليل الزرقاة فاطقات مصباحي ، ولطالما تراكمت  
الشكوك السود فمسحت بنجوم سمائي



ولطالما تفجرت الشواطىء لتذر الفيضان يحرف محمولي فيشيع الأسى واليأس  
في جنبات سمائي  
لهذا فأنا عرفت أن صفعات من الألم تنفخ الحياة في حبك لتزرع عنه فتور الموت

— ٣٩ —

لقد تصدّع الحائط فنفذ النور كأنه البسمة الالهية  
فيا للنصر ، أيها النور !  
إن طعنة نفذت في قلب الليل !  
فاقصم بضربة من سيفك اللامع ... اقصم الشك العميق والرغبات الواهية  
أيها النصر !  
وتعال ، أيها النار !  
تعال ، يا من تبعث الفزع من لمعاتك  
إن دقات طبلك ، أيها النور ، تبعث من خطوات النار ، وإن الشعلة الحمراء  
ما تبرح في السماء ، وإن الموت ليفى في تفجرات من جلال

— ٤٠ —

أيها النار ، إنني أغني لك لشيد النصر ، يا أخوتي  
فأنت رمز الحرية الخفية ... رمزها الأحمر اللامع  
وانت تنشرين ذراعيك في السماء وترسلين أصابعك المضطربة بين وتر القيثارة ،  
فترفع موسيقا الرقص الشجية

\* \* \*

وحين تتطوي أيامي وتفتح الأبواب ، فستحرقين تلك الأيدي والأقدام ...  
تحرقينها فتحور رماداً  
ان جسمي سيفني فيك ، وإن قلبي سينشط في أحبولة حماقتك ، والحرارة المتقدمة  
التي كانت في حياتي ستألق حيناً ثم تغتمر في لهيبك



## — ٤١ —

لقد انطلق الملاح ليلاً إلى عرض البحر الهائج  
فصدع دقله لأن شراعه كان قد غص بالرياح الهوج  
وتساقطت السماء على البحر كسفاً . تنأذى من أنياب الليل ، وسموم الخوف  
الأسود تسري في عروقها

والأمواج ترفع رؤسها لتلطم الظلام الخفي ، والملاح ينطلق إلى عرض البحر الهائج

\* \* \*

لقد انطلق الملاح - ولست أدري إلى أي غاية - غير أن شراعه الأبيض  
راح - على حين فجأة - يفرغ الليل  
ولست أدري لدى أي شاطئ يلقى مرساه ليبلغ فناء السكون ، حيث المصباح  
يشعل ... حيث يجدها ... هي التي تجلس على الثرى تنتظر

\* \* \*

أي شيء دفع زورقه لا يخشى العاصفة ولا الظلماء ؟  
أفيطلب الحلى والجواهر ؟

آه ، لا ، إن الملاح لم يعد وبين يديه كنز ، بل وردة بيضاء ، وعلى شفتيه  
أغنية . كل هذا في سبيلها ... هي التي تنتظر وحدها في الظلام وبجانها مصباحها يشعل  
إنها تسكن كوخاً على حيد الطريق

وشعرها المبعثر يضطرب بين يدي النسيم فيواري عينها  
والعاصفة تصفر خلال بابها المنكسر ، فيخفق ضوء مصباحها الأرضي فيرسم  
اشباحاً على الحيطان ومن بين هزير الريح سمعته ينادي اسمها ... اسمها الذي لا يعرفه أحد

\* \* \*

لقد مضى زمان منذ أبحر الملاح  
وسينقضي زمان طويل قبل أن ينحطم عامود الليل ويترك هو الباب  
إن الطبول لن تدق ولهذا فلن يتكشف الأمر لأحد  
غير أن النور سيملاً الدار وستنتشر البركات على الأرض ، وسيدد والقلب مرحاً  
وستنجلي غياهب الريبة حين يعود الملاح إلى الشاطئ



## - ٤٢ -

لقد صحت هذا الحطام الحمي - جسمي - في هذا الطريق الضيق - عمري  
الأرضي - ثم أتركه حين ينتهي الشوط  
وإذن؟

لست أدري ، لعلّ النور والظلماء يتشابهان هناك

\* \* \*

إن الغيب هو الحرية الأبدية  
فهو لا يستشعر الرأفة في حبه  
لأنه يحطم الصدفة ليجد الجوهر ... الجوهر النائي في دجى سجنه

\* \* \*

يا قلبي المسكين ! إن خواطرك وعبرتك تندفعان إثر الماضي !  
كن طروباً فالأيام آتية  
والساعة تدق : أيها النازح  
لقد آن لك أن تبرح على هذا الطريق  
وستلقى وجهه مرة أخرى ... وسيتراءى أمامك غير منتقب

## - ٤٣ -

على أطلال معبد الإله بوذا بنى الملك يميزار معبدًا من الرخام الأبيض  
كانت تقد إليه — عند كل مساء — جميع عرائس بيت الملك وفتياته ليقدمن  
قرايين الزهور وليشعلن المصابيح

\* \* \*

وحين اعتلى الابن عرش الملك راح يمسح على عقائد أبيه بسيل من الدم ،  
وأشعل النار المقدسة بالسكتب المقدسة

\* \* \*

لقد كان يوم من أيام الحريف يحضر  
على حين تدنو صلاة المساء



فأخذت شريماتي ، وصيفة الملكة ، التي نذرت نفسها للاله بوذا ... أخذت  
تصوّب الى وجه الملكة عينين دجواوين في صمت ، بعد إذ غمرت نفسها في الماء  
المقدس ، وبعد إذ صفقت المصاييح والزهور البيض على صينية من ذهب

\* \* \*

فاضطربت الملكة من خوف وقالت « أفلا تعلمين ، أيتها الفتاة الصغيرة ، أن  
الموت هو عقاب من يسعى الى معبد بوذا لأداء الصلاة ؟  
« إنها مشيئة الملك ! »

\* \* \*

فانحنى شريماتي للملكة ثم انثنت عن بابها لتقف أمام أميتا ، عرس ابن الملك  
وهي تضفر خصلات من الشعر الأسود السبط وعلى فخذيها مرآة من الذهب  
الصقيل ، وترسم نقطة الخط الحمراء عند مفرق شعرها  
فارتعدت لما رأت الفتاة وصاحت « أي خطر مروع تدفعيني اليه ؟ ذريني حالاً ! »

\* \* \*

وكانت الأميرة شوكللا عند نافذتها جالسة تقرأ قصة على نور الشمس الغاربة  
ففزعت حين رأت الفتاة لدى بابها تحمل القرايين المقدسة  
فسقط الكتاب من يديها ، وهمست في أذن شريماتي « لا تقذفي بنفسك  
بين برائن الموت ، أيتها المرأة المغامرة »

\* \* \*

واطلقت شريماتي من باب الى باب

ثم رفعت رأسها ونادت « يا نساء بيت الملك ، أسرعن ! »  
« إن ساعة الصلاة قد أزفت »

فأغلق بعضهم من دونها الأبواب ، ورجعوا البعض بالسباب  
ثم انحسر آخر شعاع من أشعة النهار عن القبة البرنزية في أعلى برج القصر  
وانتثرت الأشباح المظلمة في ثنايا الطريق ، وماتت حركة المدينة ، وتسامت  
أصوات النواقيس من معبد شيقا تعلن عن صلاة المساء

\* \* \*

وفي ظلام ليلة من ليالي الخريف ... ظلام عميق كأنه البحيرة العميقة ...



والنور يختلج في أضعاف النجوم ... حينذاك أخذ حراس حديقة القصر يستشفون  
من خلال الأشجار أضواء مصابيح تنالق في معبد بوذا  
فتدافعوا يصيحون وسيوفهم مسلوطة « من أنت أيها الأحق ، يا من قذفت  
بنفسك الى هوة الموت ؟ »

\* \* \*

فأجابه صوت عذب رقيق يقول « إنه أنا شريماي ، خادم الإله بوذا »  
وفي لحظة واحدة كان رخام الهيكل البارد قد اصطبغ بدم قلبها الأحمر  
وفي ساعة من صمت النجوم ، مات — عند قدمي الهيكل — الشعاع الأخير  
من قبس العبادة

— ٤٤ —

إن اليوم الذي يحول بينك وبينى قد حيى نحيمة الوداع  
لقد سحب الليل على وجهه قناعاً ، وتوارت الشعلة التي تضطرم في حجرتي

\* \* \*

إن عبدك الأسود دافى الينا في هدوء ، ونشر لك ملائمة العرس لتجلس هناك  
في عالم السكون ، الى جانبي حتى تنجلي الظلماء

— ٤٥ —

لقد تصرم ليلى وأنا على فراش من هموم ، وان الضنا لبشيع في عيني ، وان  
قلبي المسكود لا يجمد القوة على أن يستقبل أفراح الصباح المركومة

\* \* \*

فاسحب نقاباً على هذا النور العاري ونح هذا الضياء الساطع وبهرج الحياة  
ودع عباءتك — عباءة الظلام الرقيق — تلفني بين طياتها ، وتحول بين  
آلامي وبين مضطرب الحياة

— ٤٦ —

حين وجدت القدرة على أن أجازيها عن كل ما حببني به ، كانت الفرصة قد واثت



وكان ليها قد وجد صباحه ، فأخذتها أنت بين ذراعيك : فأقبلتُ أقدم لك  
ثنائي وهداياي ، وهي كانت لها هي  
وأنتيت أطلب منك الغفران عن كل ما أصابها من سوء وخطأ  
وأقدم لك زهرات حي ، اللاني ظللن في الكاهن عمرأ ، كانت تنتظر هي فيه  
ساعة تقهجن

## — ٤٧ —

الآن عثرتُ على بعض رسائل القديمة تتوارى بين لفائف صندوقها ... إنها  
بعض لعب مما تنلها بها ذاكرتها  
وأرادت - في فزع - أن تتزع هذه الترهات من بين يدي الزمن الغشوم ،  
فقال « هذه لي وحدي ! »

\* \* \*

يا حسرتنا ! إن هذه الرسائل ما زالت هنا ، لأن إنساناً - الآن - لا يدعيها  
... إنساناً يستطيع أن يؤدي حقها ببعض دواعي الهوى  
لا ريب ، ففي الحياة حب يتشغلها من قرار الضياع ، حب كحبها هي ... هي  
التي حفظت هذه الرسائل في شغف

## — ٤٨ —

أيتها المرأة ، هاتي الجمال والنظام إلى حياتي الخاوية كما فشتها في داري حين كنت  
وأمسحي على حطام الساعات التربة ، وأملأي الجرة الفارغة ، ورتبي كل  
ما كان هملأ  
ثم افتحي الباب الداخلي للمعبد ، واشعلي الشمعة ، ودعينا تلاقى هناك -  
أمام الله - في صمت

## — ٤٩ —

يا إلهي ! لقد كان الألم يتغلغل حين كانت الاوتار تترنم !  
فأعزف لحنك لأنسى الألم ، واجعلي أشعر - في لطف - بما يضطرب في  
خيالك في هذه الأيام الجاسية



هذه الليالي المدبرة تضطرب لدى بابي فرها لتزاح على نغم أغنية  
واسكب قلبك ، يا إلهي في أوتار حياتي ... اسكبه في لحن يتدفق من  
ضميركوا كبك

— ٥٠ —

في لمعة من لمعات البرق تبدى لي عظيم ابداعك في حياتي ... ابداعك  
خلال دُنا الموت

\*\*\*

لقد آسيتُ على تفاهة نفسي حين ألفتُ حياتي بين يدي الساعات الخاوية  
ولكن حين رأيتها بين يديك علمت أنها أغلى من أن تبدد بين الأشباح

— ٥١ —

إنني على يقين من أنه في غروب يوم ما ستحني الشمس تحية الوداع  
سيعزف الرعاة ألحانهم وهم جلوس تحت أشجار البانان ، وقطعانهم ترعى في  
الوادي ، على حين تنطلق أياي إلى الظلام  
إنني ابتل لعلني أعرف ، قبل أن أبرح ، لماذا تناديني الأرض لتضميني بين ذراعيها  
ولماذا يتحدث إلي صمت ليلها عن نجومها ، ولماذا يقبل ضوء نهارها أفكاري  
فتستحيل إلى زهرات

فهل لي أن أطمئن إلى نشيدي الأخير — قبل أن أبرح — فأتمم موسيقاه ،  
وهل للمصباح أن يرسل أشعته فأرى وجهك ، وهل للأكليل أن يتم نسجه فأتوجك به

— ٥٢ —

ماذا عسى أن تكون تلك الموسيقى التي تهز لها الأرض ؟  
إننا نبسم حين تعزف على قبة الحياة ، وتنخلع قلوبنا حين تدغم في الظلمات  
غير أن النغم واحد ... النغم الذي يتفق ولحن الموسيقى الأبدية

\*\*\*

إنك تخفي كنزك في راحة يدك ، ونحن نضج ، نقول : بأنا سرقنا



ولكن ابسط يدك او اقبضها ، كما تشاء . فالريح والخسارة على سواء واحد  
لأنك حين تخاطر مع نفسك ، تسكسب وتخسر في وقتٍ معاً

## — ٥٣ —

لقد قبِلْتُ هذه الدنيا بعينيَّ وأطرافي ، ولفقتها في طيات قلبي الانهائية ،  
وأفضت على أيامها ولياليها من أفكارٍ حتى امتزجت دنياي وحياتي . . . . وأنا  
أعشق حياتي لأنني أهتم بنور السماء الذي صيغ معي

\* \* \*

واذا كان الرحيل عن الدنيا حقاً كجها . . . إذن فلا بدَّ أن يكون في  
لقيا الحياة وفي فراقها معنىً  
واذ كان هذا الحب سيحور — عند الموت — خداعاً ، فاذن سينسرب  
فساد هذا الختل ليلتهم كل شيء . . . وإذن تنفخُ النجوم وتنطفئ

## — ٥٤ —

قال لي السحاب « أنا انتهيت » وقال الليل « لقد اغتمرت في لمعات الفجر »  
وقال الألم « لقد ظللت في صمت عميق كموضع قدمه »  
وحدتني حياتي « إنني أفنى في الانهائية »  
وقالت الأرض « إن نوري — دائماً — يقبل خواطرك »  
وقال الهوى « إن الأيام تنطوي وأنا أنتظرك أنت »  
ثم قال الفناء « إنني أدفع زورقك عبر البحر »

## — ٥٥ —

لدى نهر الكنج ، في ناحية قصوى حيث يحرقون موتاهم ، راح تولسيداس  
الشاعر يحول منغمراً في أحبلته  
وهناك ألقى امرأة جالسة عند قدمي جثة زوجها المسجاة وهي ترتدي لباساً  
بهيجاً ، كأنها في ليلة عرسها



وحين بدا لها هبت من مكانها وأخنت رأسها ثم قالت « ياسيدي ، احبني غطفاً  
من لدنك أستطيع به أن أرقى الى السماء لألحق زوجي »  
فقال تولسيداس « وما أعجلك ، يا ابنتي ؟ أفليست هذه الأرض هي بعض  
ملكوت مَنْ مَلَكَ السماء ؟ »

فقات « إنني لأطلب السماء بل زوجي »  
فابتسم تولسيداس وقال لها « أرجعي الى دارك ، يا ابنتي ، وستجدين زوجك  
قبل أن ينطوي شهر »

\* \* \*

فعادت المرأة وفيها نشوة الأمل الحلو ، وأخذ تولسيداس يختلف اليها كل  
يوم ينفث فيها الأفكار السامية حتى أغمق قلبها بالحب الالهي  
وحين أوشك الشهر أن ينصرم ، أقبل جيرانها يسألون « أيتها المرأة ، أوجدت  
زوجك ؟ »

فابتسمت المرأة في رضا وقالت « نعم »  
فسألوا في شغف « وأين هو ؟ »  
فأجابت « إن سيدي في قلبي ، وهو ... هو الذي معي »

— ٥٦ —

لقد اطأنت الى لحظة ، لمستني خلالها بسر المرأة العظيم ... السر الذي نوى  
في ضمير الكون

إن المرأة هي التي تزجي — دائماً — الى الخالق مثل فيضه من الجمال ،  
وهي — أبداً — جمال الطبيعة الغض وشبابها اليناع وهي التي ترقص في حجاب  
الغدير وتشد أغاني الصباح ، وهي — كالأموج المتناوحة — تشفي غلة الأرض  
وفيها ينشطر الواحد الأبدي الى شطرين في فرحة لا تستطيع ان تكتم نفسها  
فتدافع في مثل آلام الهوى

— ٥٧ —

من عسى أن تكون تلك التي سكنت قلبي ، انها ابداً مبتسمة ؟



لقد صبوت اليها وأعجزني ان أناها  
وزيقتها بالزهور وتغنيتُ بالثناء عليها  
فتألفت ابتسامة على شفيتها ساعة ثم انطوت  
ثم صاحت في أسيّ « لست ألس فيك أفرحي »

\* \* \*

واشترت لها خلاخيل موشاة ، وروحت عنها بمروحة مرصعة بالجواهر ،  
وهيأت لها فراشاً وثيراً على سرير من ذهب  
فشاعت في عينيها لمعة من سرور ثم خبت  
ثم قالت في أسيّ « لأنني لم أطرب لـكل هذا »

ثم أجلسها على عربة النصر ودفعها أطوّف بها جنبات الأرض  
فراحت القلوب الواهة تخشع عند قدميها ، وتعالى هتاف الى عنان السماء  
فلمعت ومضات الكبرياء في عينيها لحظة ثم اغتمرت في أنيا العبرات  
ثم قالت في أسيّ « لست استشعر اللذة في هذا النصر »

\* \* \*

فسألتها « عَن مَن يا ترى تبخنين ؟ »  
فقال « انني انتظره ، هو الذي لا أعرف اسمه »  
وانطوت الأيام وهي تنادي « متى يعود من أحب... من لا أعرفه... فأعرفه  
الى الأبد ؟ »

— ٥٨ —

انه نورك الذي يخترق طباق الظلمات ، وانها طيباتك التي تدبث في قلوب  
أفعمت من لَدَدِ  
انها دارك التي تطل على الأرض . وانه حبك الذي يرتفع في صيحات الحرب  
وانها منحتك التي تظل — أبداً — رجاً حين يكون في كل شيء معنى الخسارة ،  
وانها حياتك التي تندفق خلال الأجداث  
وانها سماؤك التي تنتشر على وجه الزرى ، وأنت هناك لي وأنت هناك للجميع



— ٥٩ —

حينما تلفني وعشاء الطريق وتعصف بي لأواء الهاجرة ، حينما تقبل ساعات  
السحر الروحانية فتلفني ظلالها على حياتي ... حينذاك لا أبتغي صوتك - يا صاحبي -  
فحسب ، بل أتوق الى لمساتك  
إن في قلبي كربة لأنه لم يلق أمامك كل رثائه  
فأبسط إلي يدك من خلال الظلماء لأمسك بها وأملأها ثم أحفظها ... ثم  
دعني استشعر لمساتها في ساعات وحدتي الطويلة

— ٦٠ —

لقد صاحت الرائحة المكفوفة في السك « يا ويلى ! إن اليوم يتبدد ... يوم  
الربيع الهنيء ، وأمسيت أنا حبيسة في لفائف الزهرة ! »  
لا تيأسي ، أيتها الرعيدة !  
إن أغلاك ستتحطم ، وستفتح السك عن زهرة ، وحين تموتين وأنت في  
زهرة العمر ... حينذاك يظل الربيع في شباب الحياة  
\* \* \*  
لقد راحت الرائحة المكفوفة في السك تمر بد في ضجر وتصيح « يا ويلى إن  
الساعات تمر وأنا لا أدري أين المقر ، ولا عم أبحث ! »  
لا تيأسي ، أيتها الرعيدة !  
إن نسائم الربيع قد دعت كلماتك ، ولن ينطوي يوم حق تبليغي غاية خلقك  
\* \* \*  
إن ظلام المستقبل ينتظر هذه الرائحة المكفوفة وهي تصيح في يأس « يا ويلى  
لست أدري أي غلطة سلبت من حياتي معانيها »  
« من ذا عساه يجبرني ، لماذا خلقت ؟ »  
لا تيأسي ، أيتها الرعيدة !  
إن الفجر الكامل على خطوة منك ، وهناك ستختلط حياتك بكل أنواع  
الحيوات فتعلمين معنى حياتك



# بَابُ الْمَرَاتِلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

خُذُ الْمَاءِ أَوْ « أَنْفُ الطَّيْرِ »

أَمِنْ الزَّوَاحِفِ هُوَ أَمِنْ التَّنْدِيَّاتِ أَمْ هُوَ بَيْنَ بَيْنَ

حَضْرَةِ الْفَاضِلِ رَئِيسِ تَحْرِيرِ الْمُقْتَطَفِ الْأَعْرَ

تَحِيَّةً وَسَلَاماً . وَبَعْدَ فَقْدِ قَرَأَتْ فِي شَوْقٍ وَتَقْدِيرٍ عَظِيمِينَ مَا نَشْرَعُوهُ فِي الْمُقْتَطَفِ بِعِنَاوَانِ  
« خُذُ الْمَاءِ أَوْ أَنْفُ الطَّيْرِ » وَانَّهُ أَعْجَبَ الْحَيَوَانَ خَلْقاً وَقَدْ شَاقَنِي مَا احْتَوَاهُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى  
آخِرِهِ . وَقَدْ حَفَزَنِي مَا فِيهِ عَلَى أَنْ أَدْلِيَ بِدَلْوِي فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ بِمَا رُبَّمَا يَزِيدُهُ إِيضَاحاً فَأَقُولُ :

إِنَّمَا إِذَا نَظَرْنَا إِلَى الزَّوَاحِفِ وَالتَّنْدِيَّاتِ مِنْ ذَوَاتِ الْفَقَارِ وَهِيَ كَثِيرٌ التَّبَايُنِ الْآنَ وَجَدْنَا  
الْأُولَى تَمْتَازُ عَنِ الثَّانِيَةِ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَدْ يَكُونُ لَهَا عَادَةٌ مِنْ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى جِلْدٌ  
ذُو بَشِيرَةٍ عَلَيْهَا فَلُوسٌ وَلَيْسَ لَهَا شَعَرٌ أَصْلاً ، وَهِيَ تَبْيِضُ بِيَضاً كَبِيراً غَزِيْرَ الْمَحِ ،  
وَلَا تَرُضِعُ صَغَارَهَا ، وَلَهَا مَسْلَكٌ تَصُبُّ فِيهِ الْقَنَوَاتُ الْبُولِيَّةُ التَّنَاسِلِيَّةُ وَالْقَنَاءَةُ الْغَذَائِيَّةُ أَيْضاً ، وَلَهَا  
زُنَّارٌ كَتِيفٌ مَعْقَدٌ يَتَرَكَّبُ مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعِظَامِ أَوْ الْفَضَارِيْفِ الْمُنْفَصِلِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ تَقْرِيباً  
مِنْ ضَمْنِهَا الْعِظَمُ فَوْقَ اللَّوْحِ وَالتَّنَوُّعُ الْغَرَابِيُّ وَالْعِظَمُ فَوْقَ التَّنَوُّعِ الْغَرَابِيِّ وَالتَّنَرُّقُ قُوَّةٌ وَالْعِظَمُ  
بَيْنَ التَّرَاقِي . وَأَمَّا التَّنْدِيَّاتُ فَتَمْتَازُ بِأَنْ لَهَا جِلْدٌ ذُو بَشِيرَةٍ يَغْشَاهَا شَعَرٌ ، وَبِأَنَّهَا عَلَى الْعُمُومِ  
ذَوَاتُ بَيْضٍ مَتْنَاهُ فِي الصَّغَرِ خَالٍ مِنَ الْمَحِ ، وَأَنَّهَا تَرُضِعُ صَغَارَهَا دَائِماً ، وَلَيْسَ لَهَا عَادَةٌ مَسْلَكٌ بَلْ  
لَهَا فَتَحَاتٌ مُنْفَصِلَةٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ لِلْقَنَاءَةِ الْغَذَائِيَّةِ وَالْقَنَوَاتِ الْبُولِيَّةِ التَّنَاسِلِيَّةِ ، وَزُنَّارٌ الْكَتِيفِ  
فِيهَا مُنْتَقَصٌ جِدّاً وَكَثِيراً مَا تَمَثَّلَتْهُ عِظَامَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ هِيَ اللَّوْحُ وَمَعَهُ فَضْلَةٌ صَغِيرَةٌ أَوْ أَثَرٌ مِنَ التَّنَوُّعِ الْغَرَابِيِّ  
مُتَّحِدَةٌ بِهِ تَمَامُ الْإِتِّحَادِ وَقَدْ تَوَجَّدَ أَيْضاً تَرْقُوقَةٌ رَقِيقَةٌ . وَإِذْنُ فَرْقٍ أَيْ الْجَمَاعَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ يَكُونُ خُذُ الْمَاءِ  
أَوْ « أَنْفُ الطَّيْرِ » . وَعِنْدِي أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ وَقَنْفُذُ الْبَلِّ أَوْ التَّنَضُّاعُ (مَعْجَمٌ مَعْلُوفٌ بِأَشَا) لَا مِنْ  
هَذِهِ وَلَا مِنْ تِلْكَ وَإِنَّمَا هُمَا (ش ١ و ٢) مِنْ جَمَاعَةٍ صَغِيرَةٍ أُخْرَى ذَاتُ أَهْمِيَّةٍ تَعْرِفُ بِالْمَسْلُوكَاتِ  
تَوْجَدُ فِي أَسْتْرَالِيَا وَبَعْضِ الْجَزَائِرِ الْمُنَاطَخَةِ لَهَا كَمَا جَاءَ فِي الْمَقَالِ . هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ ذَوَاتُ شَعَرٍ  
وَتَرُضِعُ صَغَارَهَا مِمَّا يَسُوْغُ إِدْرَاجُهَا ضَمْنَ التَّنْدِيَّاتِ لِكُنْهِنَّ تَبْدِي فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ صِفَاتٌ مَعْنِيَةٌ تَجْمَعُهَا  
تُخْتَلَفُ عَنْ جَمِيعِ التَّنْدِيَّاتِ النُّوْذَجِيَّةِ وَتَتَّفَقُ مَعَ الزَّوَاحِفِ ذَلِكَ بِأَنَّهَا تَبْيِضُ بِيَضاً كَبِيراً غَزِيْرَ  
الْمَحِ ، وَفِيهَا قَنَاءَةُ التَّغْذِيَةِ وَالْقَنَوَاتُ الْبُولِيَّةُ التَّنَاسِلِيَّةُ تَصُبُّ فِي مَسْلَكٍ مُشْتَرَكٍ ، وَزُنَّارُ الْكَتِيفِ فِيهَا  
مُرَكَّبٌ مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعِظَامِ الْمُنْفَصِلِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ كَمَا فِي الزَّوَاحِفِ تَقْرِيباً نَحْصُ بِالذِّكْرِ  
مِنْهَا الْعِظَمُ بَيْنَ التَّرَاقِي وَهُوَ لَا يَتَوْجَدُ فِي تَنْدِيَّاتٍ سِوَاهَا . مِنْ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ هُنَاكَ حَيَوَانَاتٍ  
لَا زَالَ مَوْجُودَةٍ وَمِنْ غَيْرِ شَكٍّ تَتَبَوَّأُ مَرَكِزاً وَسَطاً أَوْ بَيْنَ الزَّوَاحِفِ وَالتَّنْدِيَّاتِ النُّوْذَجِيَّةِ



المقتطف — نشكر لحضرة الأستاذ الفاضل اهتمامه بما ينشر المقتطف من هذه البحوث ، وكل ما لنا على كلمته أنه يقول : «وعندي أنه (أي خلد الماء) في الحقيقة هو وقفذ النمل لا من هذه ولا من تلك ، وإنما هو من جماعة صغيرة أخرى ذات أهمية تعرف بالمسلكيات توجد في أستراليا وبعض الجزائر المتاخمة لها ، كما جاء في المقال » . اهـ . وقول الأستاذ أن خلد الماء لا من هذه ولا من تلك



ش (١) — خلد الماء أو «أنف الطير» (من دليل المتحف البريطاني)  
The Duck-billed Platypus (Ornithorhynchus anatinus)



ش (٢) — قنفذ النمل أو النضناض (من دليل المتحف البريطاني)

The Echidna or Spiny Anteater (Echidna aculeata)

(Amphibia) . فإذا قلنا أنه ثديي فذلك لأنه يرضع صغاره وإن له شعراً وليس له فلول أو حراشف . وإذا قلنا أنه من الزواحف فذلك لصفات كثيرة في تشريح عظامه ووظائف بعض أعضائه ذات الشأن . وإذا قلنا أنه برمائي فذلك لأنه يغشى الماء ويعيش في البر

وكما أنه لا يجوز لنا أن نقول أن الفلول التي نشهدها على أرجل الطيور ، وهي من صفات الزواحف ، قد تجعل الطيور من الزواحف ، كذلك لا يجوز لنا أن نقول أن مماثلة بعض

انما ينصب على ان هذا الحيوان ليس من الزواحف وليس من الثدييات . أما أنه ليس من الزواحف فنعم . وأما أنه ليس من الثدييات فلا .

ذلك بأنه من المسلكيات ، وهي نوعاً من الثدييات وفي الحق أن خلد الماء لا يمت إلى الزواحف وإلى الثدييات لا غير ، وإنما هو يمت أيضاً إلى البرمائيات



العظام في حيوان ثديي لعظام تكون في الزواحف ، قد تكفي لاجزائه من افق الثدييات .  
وانما يكون لنا الحق في ان نقول ان خلد الماء بصفاته الحالية انما يدل على انه بقية من احياء  
قديمة هي في منزلة حلقات كانت تربط بين الزواحف والبرمائيات وذوات الثدي ، كما تدل الفلوس  
التي نراها على أرجل الطيور على انها اخلاف حلقات بائدة كانت تربط بين الزواحف  
والطيور الاولى التي اسميها «الطيريات» : Archæornithes

اما ان خلد الماء من الثدييات بغير شك فذلك ما يثبته كبار المصنفين مثل الاستاذ «ليدكر»  
Lydekker والأستاذ بدرد Beddard . فان ليدكر يقسم شعب الثدييات شعبين : الأول  
الثدييات الولود او الولودات ، وهذا منه المشيميات : كالرئيسات والحفاشيات والحشريات  
واللواحم والحيتان الخ ، واللامشيميات وهذا يتضمن الجرايات Marsupialia وحدها . أما  
الشعب الثاني فالثدييات البيوض أو البيوضات ، وهو يتضمن المسلكيات وحدها Monotremata  
ومنها خلد الماء . وكذلك الأستاذ بدرد فانه يقسم الثدييات شعبين : أحدها الفوارط :  
Prototheria وهذه تتضمن قبيلة واحدة هي المسلكيات التي منها خلد الماء ، وثانيهما الولودات  
وتضم الجرايات مع بقية قبائل الثدييات ، من غير ان يتورط الى تقسيم الشعب الثاني الى  
مشيميات ولا مشيميات . هذا وينبغي ان نعلم ان تصنيف الحيوان قائم الآن على أسس تشريحية  
وظائفية وبخاصة في تعيين الطبقات العليا ، لا على نظرات اجتهادية ، كما كان عند أول العهد به  
\*

### الفيزيقا الحديثة

حضرة رئيس تحرير المقتطف . بعد الاحترام فيما كنت أطالع كتاب الفيزيقا الحديثة  
لحضرة العالم الاستاذ أحمد فهمي أبي الخير لفت نظري تناقض في نظريتين في فصل  
الجابزية والذسية . ففي صفحة ٨٣ ورد أنه اذا كانت سرعة الجسم مساوية لسرعة الضوء  
أي ١٨٦٠٠٠ ميل بالثانية بلغ النقص في انكماش الجسم المسرع مائة في المائة . أي أن الجسم  
ينكمش الى ان يعدم طوله . . . ولا يخفى أنه اذا انعدم طوله انعدمت جميع ابعاده واصبح هو  
نفسه عدماً . ثم في صفحة ٨٨ ورد أنه اذا تحركت كتلة الجسم بسرعة الضوء أي ١٨٦٠٠٠  
ميل الثانية ترايدت مادته الى ما لا نهاية له . هاتان نظريتان علميتان اتفق عليهما معظم علماء  
العصر السكار . وكنت كلما قرأت عنها شيئاً خطر لي خاطر تناقض بينهما . لأنه في الحالة  
الاولى ينكمش الجسم الى حد العدم وفي الحالة الثانية تزداد مادته الى ما لا نهاية له . وهما حالة  
واحدة : سرعة كسرعة الضوء . فكيف تزداد مادته وقد بلغ العدم  
لم أرَ فيما طالعه تعليلاً لهذا التناقض العجيب . فهل من يفيدنا بما يعلمه او يعتقده بهذا  
الشأن . وله عظيم الشكر سلفاً ،  
نقولا الحداد



# باب الأختبار العلمانية

أجهزة أرهف صمماً وأدق

من الحواس الخمس

استنباط بديع خاص بالأصوات العالية الذبذبة  
إذ تحقق الدكتور هيرد Hubbard أنه يستطيع  
تحليل السوائل المجهولة التركيب في معمل التحليل  
الكيميائي بإطلاق أمواج صوتية سريعة التذبذب  
لأن لكل مادة من المواد المعروفة ، مزيج في  
توصيل الأمواج بسرعة خاصة تختلف عنها في  
غيرها كل الاختلاف . فإذا انطلقت الأمواج  
في محلول ما بسرعة معينة استطاع المحلل الكيميائي  
معرفة كنه ذلك السائل والوقوف على عناصر  
تركيبه وتحديد كل عنصر منها وأدرك أنني هو  
أم مزيج

وقد استخدم الصوت في تحليل اللين إذ  
أعلن الدكتور لزي تشمبرز والاستاذ نيوتن  
جاينز من أساتذة جامعة تكساس المسيحية  
أنه إذا مر الحليب في قمع مثبت فيه أنبوب  
من النيكل يخرقه عند مرور الحليب فيه  
صوت حاد ، قلت أمواج ذلك الصوت ما قد  
يوجد فيه من البكتريا وذلك بنسبة تفاوتت  
بين ٨٠ في المائة ومائة في المائة حتى بعض  
الميكروبات التي لا تؤثر فيها البسترة « تعقيم اللين  
بطريقة باستور » تقتلها تلك الأمواج . وأعلن  
الدكتوران تشمبرز وفلوسدورف من أساتذة

لا شك ان المرء يخسر في دنياه خسارة  
فادحة ، إذ تخفى عليه بعض الأصوات فلا يسمعها  
وتلبس عليه بعض الألوان الدقيقة فلا يفرق  
بينها تقريباً تماماً . وكذلك تمر أمامه المشاهد  
السريعة جداً فلا يستطيع عيناها إدراكها . وقد  
تعجز الحواس البشرية الضعيفة عن فحص  
العلوم والروائح ولمس الأشياء القامضة

وتسمى العين البشرية ، أكل الآلات  
البصرية ، على حين أنها لا تبصر من طيف  
الشمس إلا قدراً طفيفاً وهو ٤٠٠٠ وحدة  
( انجستروم ) وذلك من وسطه ، مع كون  
طوله يربى على عشرة سنكليون انجستروم

وقد يفخر امرؤ بسماعه صوت سقوط  
دبوس في قاعة من القاعات العامة الكبرى  
الخاصة للخطابة ، وكذلك عند سماعه دقات  
ساعة صغيرة في إحدى الحجرات ، ومع هذا فان  
الأذان إنما تصلح لسماع الأصوات التي تتفاوت  
ذبذباتها بين ٣٠ و ١٦٠٠٠ ذبذبة في الثانية ،  
بينما العلم قد قاس وذلل الصوت غير المسموع  
الذي تبلغ ذبذباته ٥ ملايين ذبذبة

تحليل السوائل بأمواج الصوت  
وقد جاء من جامعة جوتز هوبكنز نياً



### محزر آلى المعصر

وما لا ريب فيه أن تلك الكواشف البخارية والغازية جوانب عملية ومثال ذلك إن المعدن يحمل باحدى يديه مقياساً صغيراً يحذره توأمن وجود غاز اوكسيد الكربون القتال . وهو الغاز السام الذي لا يستطيع رؤيته ولا شمه . وتقوم هذه الكواشف دائماً بتحليل الهواء في أنفاق مدينة نيويورك الخاصة بعربات السكك الحديدية وغيرها . وتقوم الاجهزة الكشفية بالدلالة على افلات بخار الزئبق من مداخل العادم في ترينيات الزئبق المولدة للقوة المحركة ، فتغلغل في الحال تلك المصانع المولدة للقوة فتتوقى الحسارة . وفي ترينيات بخار الزئبق التابعة للشركة العامة الكهربائية في مدينة شنيكناي بالولايات المتحدة الاميركية ١٠٠٠٠٠ رطل من الزئبق ، ثمن كل منها ريان وخمس ريان فاذا حسبنا ما يتبخر منها في الجو بلا تقع عن طريق مداخلها ، كانت الحسارة فادحة

### المصور الضوئى الطبقي

هذا ومن أحدث اعواض العلم ، لسد نقص الحواس البشرية الضعيفة ، جهاز الاسبيكتروفوتوميتر Spectrophotometer وهو من مخترعات شركة السكرية الاميركية العامة ، وقوامه بصاقات كهربية تتأثر بالضوء فتحواله الى خطوط منحنية . فاذا كان لديك مثلاً زوج من الجوارب ، مودع في صيوان ملابسك ، وخيل اليك أن كل فردة منه

جامعة بنسلفانيا أنهما استطاعا تضبيب بيضة دون رفع درجة حرارتها لأن الصوت الحاد يولد تأثيرات كيميائية تجمد بروتين البيضة

ويحس الانسان ويصر ويدوق ويسمع ويشم ، بالحواس عينها التي كانت تصلح للعصر الحجري ، حينما كان كل همه اكتشاف عدوه في الوقت الواجب الهرب فيه منه ، ثم نقص ما يقتات به

فلم تكن الناس محتاجة الى تركيب المكابس في الاسطوانات لتوليد القوى التي تقاس بأجزاء من المليون من المقدة « البوصة » وللا نصات للغواصات المتربصة في الاغوار لفرائسها ، ولا لقياس حرارة الكواكب السحيقة التي ما كانوا يرجون رؤيتها على الاطلاق

وبينما ظلت العيون والآذان البشرية كما كانت عليه منذ ٢٥٠٠٠ سنة قد أسبغ علينا العلم آلات دقيقة الاحساس دقة تحير الالباب . ومنها المصورة الضوئية العديدة العيون ، العديدة العدسات التي تلتقط ١٢٠٠٠٠ صورة في الثانية . ثم استخدام الضوء الخفي والصوت غير المسموع لقتل البكتريا

ومثله البخار الخفي العديم الرائحة الذي يتصاعد من اناء فيه زئبق ومع ان ذلك البخار لا يزبد على ١ في خمسة ملايين جزء من الهواء فإنه يصير ظاهراً للعين البشرية كظل خفيف ملقى على حجاب متلألئ . ومع ذلك يبقى هذا الزئبق عشر سنين متبخراً دون ضياع شيء محسوس من وزنه



البشرية لكي يسهل للأطباء ، مقابلة دماء مرضاهم بها ، واكتشاف أعراض الانيميا ، تضطر الطباعين الى الحصول على انواع المداد التي تطابق جد المطابقة ، كل صنف من أصناف الدماء البشرية على حدته . فكان أولئك الطباعون يتمكنون من بلوغ أوج السكال في تلك الصناعة ، بمزج ضروب المداد بعضها ببعض حتى تصير الرسوم البليانية المطبوعة بذلك المداد مشابهة تماماً للرسوم البليانية النمودجية المرسومة بالدماء نفسها

### مقاييس مرفقة رقيقة

وقد بلغ من احساس الانامل الدقيقة لاصابع العميان ، انهم يتعلمون بها سريراً قراءة الحروف البارزة المكتوبة بطريقة براي Braille

ولكن احد المهندسين اخترع مقياساً سماه مقياس الخشونة roughness meter يستطيع تقدير ثخانة بصمة الاصبع المطبوعة على لوح من ألواح الزجاج . وهو يكاد يشبه القونفراف ذا الابر التي سنهامن الياقوت الأزرق فيتجسس بها الشيء المراد فحصه ، فيشمر بأدق الاختلافات في نعومة الادوات أو طلاء سطوحها وان كانت جزءاً من مليون من العقدة . وذلك في الكراسي المعدنية التي تدور عليها محاور الآلات

ثم معبر هويتستون Wheatstone bridge الذي ينبيء عمال التليفونات المعهود أنهم في تقصي علل اضطراب المواصلات التليفونية ،

أخيراً للاخرى ، فأردت أن تتحقق الامر ، فأعليك ألا أن تعرضهما على ذلك الجهاز ، فيرسم لك في خلال خمس دقائق رسمين طيفيين يثبتان أن تينك الفردتين ليستا أختين على الإطلاق . وبلغ من احساس الاسبيكترومومتر أن محركه يستطيع تحريكه ووقفه باشعال شمعة على بعد ميل . فهو اذن مقياس للون ومسجل للصبغات . وبهذه الصفة قد شق طريقه في عشرات من الصناعات حيث تقاس به درجات الاصباغ ، وتوافق الالوان بعضها مع بعض في مصانع المنسوجات والورق والاصباغ

واذا فحست الاطعمة المكبوسة في العلب بجهاز الاسبيكترومومتر أثبت هل اضيفت اليها مواد لتلوينها وغشها وهل هي سامة

وبه يستدل على النقود المزيفة وطوايح البريد المقلدة . ومن ثمة يتاح بالاسبيكترومومتر اختبار الورق والمنسوجات وما البهام البضائع فيلنسى للتاجر الذي يبغي مناهضة منافسه ان يثبت بهذه الطريقة العلمية هل أدخل أو لم يدخل منافسه في تركيب سلعه ، مواد أقل قيمة مما في بضاعته هو ، بل هو طريق مختصر الى التحليل الكيميائي . فاذا كان في محلول ما جزء من مليون جزء من النحاس ظهر ذلك في مسجل السبيكتروجراف خطاً منحنيّاً على شكل خاص . وكانت المعامل الطبية الكيميائية قبل اختراع هذا الجهاز عندما يحتاج أحدها الى نشر جدول محتو على نماذج الدماء



بعد المكان الذي انصل فيه السلك بالأرض ،  
وقد يكون على أميال منهم

\*\*\*

هذا وقد يمتص المرء بعض الامتعاض اذا  
انخفض ترمومتر حجراته عن درجة ٦٥ او  
ارتفع فوق درجة ٨٠ فرنسيت فاخترع لذلك الغرض  
جهاز اسمه Potentiometer بوتنسيومتر وهو  
من الادوات التي يتوصل بها العلماء في مباحثهم  
اذ يقوم ببيان التقلبات التي تطرأ على الحرارة  
والرطوبة ولو كانت بضعة اجزاء من الف  
جزء من الدرجة

\*\*\*

م مقياس الذوق وهذا لا يتأثر بالبرد ولا  
بغيره من الأعراض التي تطرأ على الحاسة  
البشرية للذوق فتفسدها وقتياً بحيث لا تستطيع  
التفريق جيداً بين طعوم الماء كولات والمشروبات  
ولذلك يسترشد الكيميائي في فحص المواد التي  
تعرض عليه ، بذلك الذواق الصناعي  
taste indicator وبه يُتاح قياس حموضة  
اي محلول او قلوبته بغاية الضبط

\*\*\*

وهناك كذلك آلات لقياس مبلغ قوة  
الضوء الذي ينبعث من الكواكب وآلات اخرى  
تسجل تسجيلاً آلياً مقدار نور الشمس الساقط  
على بقعة معينة

\*\*\*

وفي عالم الصناعات العصرية مقياس آخر  
لتقدير الرطوبة Moisture detecotor في

مواد مختلفة وقوامه ابرتان كهربائيتان  
تفرزان في الملالط « اليباض » أو في الابرق  
المسلح أو الطوب الأحمر أو الحيطان الخشبية  
المراد دهنها بالطلاء فتقيسان بالطاقة الكهربائية  
مبلغ ما فيها من الرطوبة السطحية والباطنية .  
ويتذرع بهذا المقياس ايضاً للبحث عن ثقب  
الأنابيب المدفونة في الأرض أو في الحيطان

### صخرة لا يبرقها الصوت

واذا كنت عصبي المزاج ممن توقظهم من  
نومهم الدقات الخافتة للنواني التي تدقها ساعات  
الجيوب والحيطان ، فأصلح مكان لتقف فيه  
هو حجرة خاصة في المختبر الكيميائي التابع  
لشركة الكهرباء الأميركية العامة ، ولعلها أهدأ  
مكان في العالم . وذلك لأن تلك الحجرة مخفوفة  
بأدوات تقتصص الصوت وحيطان تمتصه .  
وثقلها ٣٢ طناً وهي معلقة في نواض مستندة  
الى ركائز من الصمغ المرن «كاوتشوك» موضوعة  
على سقف ذلك المبنى بحيث لا تصل اليها  
الاهتزازات — وفي ذلك المكان الساكن  
جداً ، يباشر العلماء امتحان المرواح الكهربائية  
والحركات وأجهزة الغسل وما اليها ليجعلوها  
عديمة الصوت عند ادارتها . ولذلك ترى مخترعيها  
يبدلون قصارى جهدهم حتى يخترعوا ريش  
المرواح ويركبوها في مواضعها ويديروها في  
تلك الحجرة حتى يتحققوا من كونها أهدأ ما  
يمكن ان تكون عند دورانها  
وقد أتيح للعلماء حديثاً اختراع أجهزة



التي تجتاز طبقتي الآذان دون سماعها ونعني بها الذبذبات التي تتفاوت بين ٥٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ ذبذبة وهذه يدعى تسديدها كما تسدد البندقيّة فتنفذ من العقبات الخفية مثل أبدان السفن والقواصات والسقوف الخفية ثم يضبط صداها لتعيين موضع الشيء المقصود . ومثلها مثل المقياس الصوتي لارتفاع الطائرات وقوامه الفترة التي يستغرقها الصوت في وصوله الى الأرض وعودته منها . وهذا الجهاز يحوّل صدى الصوت المنقول الى الارتفاع الحقيقي للطائرات عن سطح الارض

ويعتقد العلماء ان طائفة من الطيور وربما الحيوانات أيضاً يكلم بعضها بعضاً بأصوات عالية الذبذبات علواً لا تدركه مسامع البشر . والطيّران السريع الصائب الذي تطيره الخفافيش انما تقوم به مسترشدة بميزانها الصوتي الطبيعي وهو آذانها الشديدة الاحساس التي تسمع صوت النغمة العالية الذبذبة التي يفردها الخفاش نفسه ويسمعها عوض جندي

تدل على الصوت وتطبع ارتفاع الاصوات العادية بوحدة عشرية فاستدلوا بها على أن هزم محرك الطائرة أشد من أزيز المراحل واستعمل المستر ريموند ديتمارز المشرف على فم الحيوانات الثديية والزواحف في حقيقة الحيوانات في نيويورك ميكروفونات ومفخحات للصوت حساسة جداً وأخذ يصغي الى الاصوت المنبعثة من قرية الارضة فتسنى له بجهازه الدقيق التقاط اللفظ الناشئ من حركاتها في طرقاتها

### استكشاف الاشباح المائية بالصوت

اما الآذان الكهربية فأشد احساساً من الآذان البشرية الناقصة ، بما لا يقاس ، اذ هي تنصت الى دوي الغواصة وهي تخرج عباب اليم على بعد يزيد على خمسين ميلاً وتسمع هدير الطائرات المغيرة من قبل أن تبصرها العيون أو تسمعها الآذان البشرية

ثم إن أمواج الصوت العالية التذبذب في استكشاف الاشباح المائية وهي الامواج


\*\*\*

### التصوير بالأشعة السينية

الصناعي لأنه يمكن العلماء من تصوير باطن الآلات المتحركة تحركاً سريعاً فينفذون الى معرفة ما تكون عليه حالة باطن محور رئيسي من محاور آلة ما في أثناء تعرضه للتأثير بضغط عظيم وسرعة فائقة

صوّرت بالأشعة السينية رصاصة وهي تخترق كتلة من الخشب في جزء من مليون جزء من الثانية والرأي أن فائدة هذا النوع من التصوير لا بد أن تسفر عن خدمة كبيرة تُسدى الى الاتاج





# مَكْتَبَةُ الْمُقْتَضَفَاتِ

قصة « استباحة هولندا »

يكتبها وزير خارجيتها فان كليفرز

بينما البرقيات اليومية حافلة بأنباء الحرب في ساحات البانيا وشمال افريقية وشرقها المختلفة وأنباء صداها وتأثيرها في داخل إيطاليا نفسها نستطيع القراءة عذراً في أن نقول اليهم وصف ناجية اخرى من الحرب تبدو الآن وكأنها صفحة من التاريخ القديم ونعني « الحرب الخاطفة » التي شنها الالمانيون على هولندا في العاشر من شهر مايو الماضي فلم تطفها هولندا اكثر من خمسة أيام سلم بعدها قائد الجيش الهولندي بعد ما انتقلت الحكومة الى لندن لتواصل النضال منها . وإذا كانت الحكومة الهولندية قد فقدت سيطرتها على هولندا في اوروبا الآن والى أن تنتهي هذه الحرب ، فإنها ما فتئت محتفظة بسلطتها على هولندا وراء البحار ولا سيما جزائر الهند الشرقية الهولندية وهي اكثر سكاناً وأغنى موارد طبيعية من هولندا الأوروبية أضعافاً كثيرة

وزير خارجية هذه الحكومة المسيو فان كليفرز تقلد هذه الوزارة في يوليو سنة ١٩٣٩ ونجا من هولندا بطائرة نقد بنزولها وهي على مرأى من الشاطئ البريطاني امام بلدة بريطون المصيف البحري المشهور . وكانت الطائرات الالمانية تتبعه فلو نقد بنزين طائرته في منتصف الطريق لحال ذلك على الغالب دون الفوز بهذا الكتاب الذي ألفه فان كليفرز واصفاً فيه « استباحة هولندا » "The Rape of the Netherlands" وهاتان الكلمتان هما عنوانه والكتاب مبني على ما اتصل بعلمه بوصف كونه وزيراً للخارجية . وما شاهده بنفسه . وأتم ما جاء فيه مما يتخلل فصوله وصف دقيق لأسلوب النازي في الاعتداء الذي تجلى في استباحة هولندا وغزوتها بكل ما فيه من خدعة وتنسيق دقيق واعتداء على الاهلين واستباحة التقاليد المتبعة في الحرب والنزجود التام من الشعور الانساني

فقد سبق الاعتداء تكرير وعد النازي باحترام حياد هولندا . بل أن محطة الاذاعة الالمانية « دويتشلند زندر » اذاعت بعد انتهاء ثلاث ساعات على القاء القنابل الأولى على هولندا أن ماشر في العالم عن الاعتداء الألماني ليس الا تلقياً خسيساً من دعاة الحلفاء



ثم وصف الوزير في كتابه كيف أخرج الالمانيون من هولندا كميات من الملابس العسكرية الهولندية قبل الاعتداء عليها ثم استعملوها في كسوة جنود الهاباطات الذين نزلوا في شتى المطارات الهولندية عند مابدأت الغزوة كما وصف نظام التجسس الذي أحكموا وضعه وبين أن خطاباً وقع في أيدي السلطات الهولندية أثبت أن أحد رؤساء هذه الشبكة المنتشرة من الجواسيس كان ملحقاً بالمفوضية الألمانية في لاهاي . ويضاف الى الجواسيس جميع الالمانيين وفريق من النازي الهولنديين الذين نهضوا بما ينتظر منهم من اعمال « الطابور الخامس » في ايهان الروح المعنوي داخل البلاد والتعاون مع جنود الهاباطات في عرقلة اعمال الدفاع

وقد عاجل الوزير مراحل الغزوة بالتفصيل . ويؤخذ مما قاله انه على الرغم من تفوق الجيش الألماني في العدد والمعدات الحربية كان للخيانة والارهاب اكبر شأن في نجاح الغزوة نجاحاً عاجلاً حبطت خطة الالمانيين في تطويق العاصمة لاهاي وقد عرفت تفاصيل هذه الخطة من أوراق كشفها الهولنديون في ثوب الجزال فون سيونك الألماني عندما أسقطت طائرته وكان الجزال معيناً من قبل القيادة الألمانية العليا ليقود الفصائل الألمانية عند دخولها لاهاي دخول الظافرين . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن الجزال فون سيونك جاء هولندا بأحدى الطائرات فأسقطت وإن الجواد الذي أعد ليمتطيها عند دخول لاهاي أرسل بطائرة أخرى . وبحبوط خطة تطويق العاصمة حبطت كذلك خطة أسر الملكة وولية عهدا . وحبطت خطة ثالثة غرضها خنق وزير الدفاع ولكن خطر جنود الهاباطات كان خطراً حقيقياً . فنزلهم في المطارات الحربية اقتضى من فصائل الجيش الهولندي مواجهتهم فيها بدلاً من أن ينقلوا الى الحدود ومواقع الدفاع لتعزير حماها . فلما انتزع الالمانيون السيطرة على أحد الكباري الرئيسية في روتردام وهجمت الطائرات الألمانية هجوماً لا مثيل له في عنفه ووحشيته على روتردام فقتل فيها ثلاثون ألفاً في نصف ساعة ، أصبح المضي في مقاومة الغزو الالمانى متعذراً اذ لم تكن المقاومة تعني في مثل هذه الحالة الأبحزرة عامة لافائدة حربية تحمي منها . وقد قام سلاح الطيران الهولندي بما عليه في الدفاع عن البلاد فدمرت او عطب كل طائرة من طائرته . ولكن بعدما اسقطت مائة طائرة المانية في يوم واحد ومع غناية الميسو فان كليفتز بوصف الغزوة من ناحيتها الحربية لم يهمل وصفها من الناحية السياسية . فأثبت اثباتاً قاطعاً أن هولندا احتفظت بحيادها احتفاظاً دقيقاً وامتنعت عن الموافقة على اجراء محادثات ما بين هيئة اركان حربها وهيئة اركان الحرب التابعة لدولتها من الدول المتحاربة بها تكن المحادثات غير رسمية

وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن الحكومة الهولندية كانت مصيبة في ذلك لانه لو وافقت على محادثات من هذا القبيل بين هيئة اركان حربها وهيئة اركان الحرب الفرنسية أو البريطانية



لتمسرت أنباء المحادثات الى الخارج حتماً وتوسل بها الالمانيون للاعتداء على هولندا. ولكن  
لم يعتد الالمانيون على هولندا على كل حال عندما وافقهم ذلك بغير عذر يتوسلون به ؟  
وقد بين الوزير ان الملكة وهلمينا دعت الملك ليوبولد ملك البلجيكيين الى لاهاي بناء على  
اقتراحه ( اقتراح الوزير ) فوضعا معاً ذلك البيان الذي عرضا فيه على المتحارين وساطتهما في سبيل  
الصالح وأثبت بما لا يحتاج الى دليل آخر ان الالمانيين رفضوا ذلك الاقتراح رفضاً حاسماً خشناً  
محمد طلعت حرب باشا

مجموعة خطبه — الجزء الثالث — ٤٤٩ صفحة متن و ١٠٧ صفحات صور

منزلة محمد طلعت حرب باشا في بناء « مصر الاقتصادية » فوق كل نقاش ، وأعظم من  
كل ثناء . فالنشاط الاقتصادية والصناعية التي وهبها طلعت حرب لمصر باقدامه على الانشاء  
ودعوته ابرار مصر الى معاوئته فيه أبلغ من كل ما يستطيع القلم اضافاه عليه من حمد وتبجيل  
فسيرة طلعت حرب باشا — مد الله في عمره — وقصة منشأته الاقتصادية والصناعية  
موضوعات حربية بالمدارسة وذلك لأن المناقب التي مهدت السبيل الى هذا الانشاء هي المناقب  
التي نحتاج اليها أفراداً وأمة — العزم والاقدام والصبر وبعد النظر وحسن التقدير . فقد كان  
المال الذي سهل مهمة الانشاء متوافراً دائماً ولكن ما فائدة المال اذا لم يقيض له من يبنى به  
« بنك مصر » و « مصانع المحلة الكبرى » وشركات الفزل والتأمين وغيرها . وليس ثمة ريب في ان  
الخطب التي ألقاها طلعت حرب باشا في مناسبات شتى في مصر وغيرها من الأقطار العربية  
تحتوي على قواعد لبرنامج النهضة الاقتصادية المتوخاة لمصر وجاراتها او شقيقاتها وعلى عناصر  
تاريخ هذه النهضة . وقد جمعت طائفتان منها في مجلدين سابقين فهل من باحث يتوفر عليها ويستخرج  
منهما دراسة منظمة محبوكة الأطراف في تاريخ مصر الحديث من الناحية الاقتصادية وقواعد  
دستورها الاقتصادي كما يتجمله طلعت باشا . ومهما تنقلب الأحوال فان تمثله له يفرض نفسه  
علينا فرضاً لأن طلعت باشا لم يقل وحسب بل قال وفعل . إنه على حد قول المقطم « الرجل  
الذي علمنا اننا نستطيع ان نتجج » . وهذا الجزء الثالث صدر من اسابيع شاملاً لطائفة اخرى  
من خطب طلعت باشا وأحاديثه وقد أضيف اليها ما تجلّس عند ما هجر العمل اتباعاً لمشورة الاطباء  
« من مظاهر العطف والاكبار والاعجاب برجل مصر ومجدد شبابها الاقتصادي بما انهال على  
سعادته من رسائل التقدير التي بعث بها اليه عطاء الأمة المصرية وذوو المسكنة وأهل الرأي في  
البلاد » . وكذلك رسائل اصحاب الرأي والمقام في البلدان العربية والأجنبية  
فهذه المجموعات الثلاث ستكون بلا ريب من المصادر التي لا بد أن يرجع اليها كل من يأخذ  
على حقيقته وضع تاريخ مصر الاقتصادي في العشرين السنة الماضية



## الدستور البريطاني

## ونظام الحكم في مجموعة الأمم البريطانية

تأليف الاستاذ ارون الكسندر—وهو سلسلة محاضرات بالانجليزية—وقد ترجمه المرحوم محمد الهمشري والدكتور محمد ابو طائلة والاستاذ محمد بدران والاستاذ يوسف الريدي

تمهيد الكتاب ووصفه : للدكتور حافظ عفيفي باشا

شغلت الأذهان في الأعوام الأخيرة بمسألة الحكم ونظمه ، وتناولها كثير من الساسة والمفكرين بالدرس والبحث ، ولاح إزاء ما حققته الأنظمة الدكتاتورية ( التي قامت في بعض الدول بوسائلها العملية السريعة ) من الانقلابات العنيفة وما أحرزت في بعض الميادين من المزايا المادية وما أصاب الديمقراطية من جراء عدوانها من ضربات متوالية أن أسس الديمقراطية قد زلزلت وأن مصير الحكم الدستوري قد غدا في كفتي الميزان

وحينما أتى الاستاذ « الكسندر » محاضراته التي يضمها هذا الكتاب تحت رعاية الاتحاد المصري الانكليزي في العام الماضي ، كانت هذه المسألة الشائكة أعني مسألة الحكم الدستوري وما يعانیه من أزمات ، قد بلغت مرحلة من أعنف مراحلها ، فكانت مناسبة طيبة ان نستمع في مصر الى حديث النظم الدستورية في بلد تعتبر نظمته في الحكم مثل الديمقراطية الأعلى ، وأن باقي الاستاذ الكسندر هذه المحاضرات التي يستعرض فيها تاريخ الحياة الدستورية الانكليزية وبشرح نظام الحكم الدستوري في انكلترا

وهذه المحاضرات الست على إيجازها بالنسبة للموضوع الخطير الذي تناولوه ، تقدم الى القارئ صورة قوية واضحة عن جميع نواحي المسألة الدستورية في انكلترا سواء من الناحيتين النظرية او العملية . فالعرف الدستوري وتاريخ الحياة الدستورية وتطور نظم الاقطاع وسلطة العرش ، والتاج وموقفه وامتيازاته وحدوده ، والبرلمان ونشأته والعناصر المكونة له — الملك مع مستشاريه ومجلس العموم واللوردات — وكل ما يتعلق بانتخابه وطرائقه في العمل ، وحقوق الفرد وحياته وتطوراتها منذ صدور العهد الكبير ( الماچنا كارنا ) الى يومنا ، وجامعة الأمم البريطانية وقانون وستمنستر الذي ينظمها ، ونظم الحكم في الأملاك المستقلة والمستعمرات ، وغيرها من المسائل الهامة بعالجها الاستاذ الكسندر في كتابه بمقدرة ووضوح وقد سبق أن عرضت الى طائفة كبيرة من هذه الموضوعات في كتابي « الانكليز في بلادهم » ومع اني لم أقصد بمعالجتها سوى الشرح المجرد وتقديمها الى جمهور المتعلمين في أبسط صورها ، ولم أحاول أن أذهب الى مذهب اليه الاستاذ الكسندر — وهو أستاذ موضوعه — من تناول المسائل النقدية والمقارنات الدستورية الدقيقة ، فإنه يسرني مع ذلك أن نلتقي معاً



في كثير من النقط والملاحظات . وقد يرجع ذلك الى أن الحياة الدستورية الانكليزية تمتاز بطائفة من الخواص التي لا توجد في غيرها ، نخلو الدستور الانكليزي مثلاً من النصوص والمبادئ المكتوبة ، وقيامه بالأخص على سوابق الماضي ومقتضيات الحاضر وكون نظرية فصل السلطات التي أشاد بها كثير من علماء الفقه الدستوري ليست قوية الأثر في الدستور الانكليزي ، واحترام رأي المعارضة وعدم التفريق بين رأي الأكتية والأقلية من حيث القيمة والأهمية ، وغيرها من الخواص الظاهرة في الدستور الانكليزي تلفت بلا ريب نظر جميع الباحثين على السواء

ولما كانت مصر دولة دستورية ، والحياة الدستورية فيها مازال ناشئة فتية ، فإنه يجب على جميع المصريين أن يقفوا على المبادئ الدستورية العامة وأن يعرفوا حقوقهم الدستورية كاملة فيحرصوا على استعمالها ، كما يجب عليهم أن يعرفوا واجباتهم الدستورية وأن يحرصوا على أدائها ، وبهذه الوسيلة وحدها يمكن أن نعمل على توطيد مبادئ الدستور والحياة الدستورية وغرس الروح الدستوري في البلاد

وإذا كانت المبادئ الدستورية من الواجبات القومية العامة فإنه يجب من باب أولى على نواب الأمة ، ورجال السياسة والقائمين بأعباء الحكم أن يدرسوا المسائل الدستورية دراسة وافية ، وأن يكونوا على علم تام بدقائقها حتى يستطيعوا القيام بالمهام التي يضطلعون بها سواء داخل الحكم أو خارجه بصورة تحقق الآمال المعقودة على الحياة الدستورية

ولا شك أن الوقوف على المسائل الدستورية ودراستها دراسة مستقيمة مما يسهل على رجال الحكم والسياسة تذليل الأزمات الدستورية التي تعترض الحياة النيابية من آن الى آخر ، ولو أن هذه المسائل الدستورية درست وفهمت على حقيقتها منذ قيام الحياة النيابية في مصر لكان من الميسور أن تنفاد كثيراً من الأزمات الدستورية التي وقعت وأساعت إلى الحياة النيابية وهي مازال في مهدها . وقد أظهرت التجارب الدستورية في جميع الأمم أن قيمة الأنظمة الدستورية ليست في النصوص المكتوبة . بل هي بالأخص في الروح الذي تطبق به ، فالروح الدستوري الحق هو عماد الحياة النيابية قبل كل شيء ، فيجب إذاً أن تتجه جهودنا إلى تقوية هذا الروح في مصر ، وليس أدعى إلى تقويته من تعرف المسائل الدستورية ودراستها ، ولا سيما في هذه الآونة العصيبة التي تواجه فيها الأنظمة الديمقراطية الأوربية التي استقيننا منها دستورنا المصري أعظم أزمة عرفتها في تاريخها

واني على يقين من أن هذه الدراسات القوية الممتعة التي يقدمها لنا الأستاذ السكندر عن الحياة الدستورية الانكليزية ستلقى من جميع أنصار المبادئ الدستورية كل عطف وتقدير



## زوبعة في جمجمة

مجموعة قصص مصرية جديدة — تأليف محمود كامل — صفحاتها ٢٠٤ قطع المقتطف

ليس ثمة ريب في ان الأستاذ محمود كامل قصاص أصيل . فهو ينتزع من الواقع المألوس حوادث وأشخاصاً ، يحولها ذهنه وخياله صوراً من الحياة في بيئات مصرية مختلفة ونسوقها سليقة القصص فيه محبوكة العرى بين سرد بارع وتحليل دقيق وحوار بالفصحى جيناً وبالعامية المهذبة حيناً آخر فاذا الحياة تنبض بين السطور . ولعل ما قاله الدكتور محمد حسين هيكل باشا في نقد « في البيت والشارع » — وهي مجموعة سابقة للمؤلف — خير ما قيل في تصوير هذا اللون من أدبه قال : « ولذلك زرى في قصص الأستاذ محمود كامل دنواً من الحياة الواقعية المصرية وإن يكون يحاول متأثراً بقراءته الفرنسية ان يصيغها بصيغة التحليل النفسي الفرنسي وهذا التحليل حسن لذاته وهو جيد في كثير مما يكتبه الأستاذ محمود كامل » . وقول الأستاذ المازني « فان له ابراعة في الحبك ومهارة في السبك وحذقاً في تعليق الانفاس » أما الأستاذ ادجار جلاد المطلع الواسع الاطلاع على اتجاهات الأدب القصصي الفرنسي فيرى ان « محمود كامل بتحليله النفسي يفتننا بتلك التفاصيل من الملاحظات الدقيقة الصائبة » وانه مصري صميم مع انه يستخدم طريقة النقد الاوربي ، وانه يقدم صورة نموذجية — في روايته « حياة الظلام » — لحيل بأكملة يلعب دوراً هاماً في الحياة المصرية

والواقع ان كاتب هذه السطور كان قد أخذ على الأستاذ محمود كامل عند ما أصدر مجموعته القصصية الأولى من سنوات ان قصصها على ما فيها من براعة تكاد تمثل صوراً من الحياة مشتركة بين القاهرة ولندن وباريس وغيرها مع تباين يسير في التفاصيل وتبدل في الاسماء . ولكن اتساع تجربته وخبرته ، وعمرن عينه النقادة على النفوذ الى ما وراء المظاهر في الحياة المصرية ، مهدا له ان يصيح « قصاصاً مصرياً صمياً مع انه يستخدم طريقة النقد الاوربي » على حد قول الأستاذ جلاد

## القانون الدولي الخاص المصري

للدكتور حامد زكي — ٨٤٠ ص من قطع المقتطف — الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٠  
 مما يسر هذه المجلة ان ترى مثل هذا الكتاب ، وقد نوهت به حين صدور طبعته الأولى سنة ١٩٣٦ ، يبلغ مكانة رفيعة في دائرة المشتغلين بالقانون وينال رواجاً عظيماً حتى ان صاحبه يعيد طبعه بعد سنوات أربع

وليس هذه الطبعة بمجرد إعادة عن المراجعة والزيادة ، بل جاء أوانها في عهد تغير فيه نظام القضاء في مصر بسبب ما تبدل من جراء اتفاقية مونترو : فألغيت الامتيازات التي كانت تشل



يدي المشرع المصري وواجهت المحاكم الأهلية عدداً من مسائل تنازع القوانين ، وقامت في وجوه المحامين والقضاة والرايا على السواء مشكلات تتعلق بأمور الجنسية والموطن والدين . وعلى ذلك رأى صاحب الكتاب — وهو استاذ القانون المدني والقانون الدولي الخاص بكلية الحقوق عندنا — ان يعيد النظر في الكتاب بحيث يدعمه ويقويه فيجعله للطلبة عوناً نافعاً ولرجال الصناعة سنداً ومرجعاً . وتلك يد يشكر عليها

وأما الكتاب نفسه من حيث التأليف والتنسيق والعرض والتحليل فقد قلنا فيه القول الحسن عند صدور الطبعة الأولى . واليوم يحول لنا ان نبين في هذه الطبعة وقات المؤلف محمود . الدكتور حامد زكي وطني غيور : يغضب للمحاكم الأهلية والمشرع الأهلي ( ص ٦٣٩ و٦٥٦ ) ويشور على إهانة الكرامة القومية ( ص ٦٥٧ ) ويندد باستغلال الدول الأجنبية لتسامح الحكومات المصرية من قبل ( ص ٦٧٠ )

وليس معنى هذا أن المؤلف يكتب عن هووى . فإما من حق العالم ان ينصر قومه متى كان الحق في جانبهم والبقى في الجانب الآخر . ومن علامات استقامة المؤلف وعدالته أنه لا يتردد في وضع الشيء موضعه وإن أغضب حكمه طائفة من الناس . من ذلك قوله : إنه ليس من المعقول مطلقاً القول بأن الشريعة الإسلامية توجب معاملة غير المسلمين في دار الاسلام معاملة ممتازة . فإما الاسلام مع المساواة واما دفع الجزية او التمتع بمركز أقل من مركز المسلمين أو الاستمرار في الحرب حتى التسليم ( ص ٦٥٩ الهامش ) . وقوله ايضاً : ان في وضع القانون الديني بمصر مساوى قد ينتج عنها ظلم واضطراب في الأحكام . وقوله ايضاً : ان للمحاكم المختلطة فضلاً لا ينكر وخدمات للعدالة جلية

وبعد فزية هذا الكتاب الجليل أنك تشعر بأن صاحبه رجل له قدرة على تصريف الكلام القانوني وله رأي خاص يديه قوياً مدعماً ، واليك مثلاً على هذا تعليقه لنشأة نظام الامتيازات في البلدان الاسلامية ( ص ٦٧٤ ) ، ومواقفه المختلفة ازاء مسألة « تنازع القوانين » و « حالة الاجانب » وهذا الفصل الأخير غزير الفائدة موفور الاجتهاد ، يدل على أستاذية متمكنة هذا وقد أسفنا على أن الكتاب ليس في آخره مسرد تثبت فيه الألفاظ الخاصة بالقانون من عربية وفرنسية ولاينية وغيرها (١)

ب

(١) هل نبدل المؤلف على بعض أغلاط مطبعية لعله ان يتداركها في الطبعة الثالثة ان شاء الله priviligiés من ٦٥١ والصواب. priviligiés — priviligiés من ٦٥٤ والصواب. priviligiés — exigée من ٤٣٦ ، والصواب exigée — هذا وما يحسن مراجعته من ناحية الاداء العربي هذان التعبيران . « وقد حصل التساؤل حول الجهة المختصة بنظر دعاوى الاحوال الشخصية . . . » ص ٦٤٠ — « وقد قام الخلاف حول معرفة ما اذا كان . . . » ص ٦٤٦



## نظرات في الفكر

لادوار علم ٢٢٧٦ من من القطع الصغير  
Ed. Alam, Réflexions sur l'Esprit.

هذا كتاب لطيف باللغة الفرنسية يسرد فيه صاحبه آراءه في مختلف مسالك الحياة وشقي نواحي التفكير . فيبحث من طريق التمثيل والتحليل والاستشهاد احياناً في صلة الضحك بالاضطراب وقوام الحياة على الحركة ، وتولد الانعطاف عن الحال المضحكة ، واختلاف الرجل الكيس عن الرجل الأحمق من طريق الاحساس ، والنشاط والاندفاع وما وراءها من الابتداع ، والذاتية من حيث هي طرافة ، والفرق بين القلب والفكر وما ينطوي تحت ذلك من صفات الروح ، والسحر القائم على الجمال والشباب والاضطراب النفسي ، وصلة الفن بالفكر وهنا نضرب مثلاً المأساة والمهزلة ، وتكيف الفكر بالحياة : حياة الجماعة وحياة الفرد مما ينتج التوازن والانسجام ، ثم جاء البحث الأخير في التهزل humour والسخرية وما بينهما من الفرق وما يصدر عن السخرية من الدقة وعن التهزل من العطف

والكتاب كما ترى سلسلة نظرات تتصل من جهة بعلم النفس ، ومن جهة أخرى بعلم الاجتماع . وهذه النظرات جارية على أسلوب أدبي من حيث الشكل ، لا على أسلوب علمي قائم على التجارب المباشرة وان كثرت الامثال . ويذكرنا الكتاب بلون من ألوان الأدب الفرنسي معروف منذ أيام مونتني Montaigne ، وآخر اصحابه في هذا العهد بفرنسة : Alain

ولغة الكتاب حسنة ، وفيه ومضات فلسفية ونفسانية تغذي الذهن المتطلع . ب .

## القاموس المدرسي

معجم فرنسي عربي — تأليف ميري الياس — صفحاته ٥٤٦ من القطع المتوسط — طبع بالمطبعة المصرية كانت ولا تزال المطبعة المصرية داراً كريمة على الثقافة العامة بما تخرجه من آثار علمية وادبية وقصصية في اثواب قشبية ولا تدخر في سبيلها جهداً ولا تضن بفال حتى اصبحت مطبوعاتها حلية للمكاتب وذخراً للادباء والمتأديين . وكان للاستاذ الياس انطون الياس يد لا تجحد عند المنتفعين بمعاجمه في اللغتين الانكليزية والعربية . وقد رأى شقيقه الاستاذ ميري الياس ان يتم هذا الفضل فأخرج معجماً مدرسياً مزيناً بالصور والرسوم في اللغتين الفرنسية والعربية يقع في ٥٤٦ صفحة من القطع المتوسط بالدقة والفنانية اللتين عرفنا عن مطبوعات هذه الدار . وقد رأينا في هذا المعجم مزايًا تجعله في مقدمة ما صدر في هاتين اللغتين من المعاجم اذ حوى كلمات جديدة أدخلها مجمع اللغة العربية الملكي كما ضم كثيراً من المصطلحات العلمية الحديثة التي تدور على اقلام الكتاب في هذا العصر . فنشكر الاستاذ ميري الياس على هذا الجهد ونوجه اليه انظار القراء لا سيما طلبة المدارس . وقد جعل ثمنه ٢٠ قرشاً يضاف اليها اجرة البريد وبطلب من مؤلفه بالمطبعة المصرية بالفجالة بمصر



## فهرس الجزء الثانى

من المجلد الثامن والتسعين

هل هناك عناصر وراء عنصر الاورانيوم	١٠٩
هنري برجسون : لعلى أدهم	١١٧
كيف تمهض بالريف من الوجهة الصحية : للدكتور عبد الواحد الوكيل بك	١٢٢
مصر والقوة البحرية — صفحة جديدة من تاريخ محمد على	١٣٢
تحديد أغراض المجمع : للدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف	١٣٦
الرسيفات	١٤١
خلايق تنقصنا : لاسماعيل مظهر	١٤٧
المطاط من غاز — نواح من عجائب الكيمياء الصناعية	١٥١
العربية ومصائبها : للاب انستاس ماري الكرملي	١٥٧
الطب الجديد : للدكتور حسن كمال	١٦٥
مناجاة (قصيدة) : لفؤاد بليلى	١٦٨
الطبيب العربى أبو عبد الله التميمي المقدسي : لقدري حافظ طوقان	١٧٠
سير الزمان * ترسانة الديمقراطية . يوميات دولية — (١) الحريات الأربع (٢)	١٧٣
تايلاند او سيام (٣) طيران القاذفات الأمريكية (٤) في شمال افريقيا التنسيق والمفاجأة	
حديقة المقتطف * قطف الثمار : للشاعر الفيلسوف طاغور : نقلها كامل محمود حبيب	١٨٩
باب المراسلة والمناظرة * خلد الماء او أنف الطير : لمحمود مصطفى الديماطي . الفيزيكا الحديثة : لنقولا الحداد	٢٠٤
باب الاخبار العلمية * أجهزة أرهف حساً وأدق من الحواس الخمس . محذر آلي للعدن . المصور الضوئي الطبقي . مقاييس مرهقة دقيقة . حجرة لا يدخلها الصوت . التصوير بالاشعة السينية	٢٠٧
مكتبة المقتطف * قصة « اسقباحة هولندا » . محمد طلعت حرب باشا . الدستور البريطاني . زوبعة في جمجمة . القانون الدولى الخاص المعري . نظرات في الفكر . القاموس المدرسي	٢١٢